ستـــــــون عمـــل وعمـــل تُحبـــط الأعمـــال الصـــالحة

تحرير المقال

في محبطات الأعمال



إعداد:

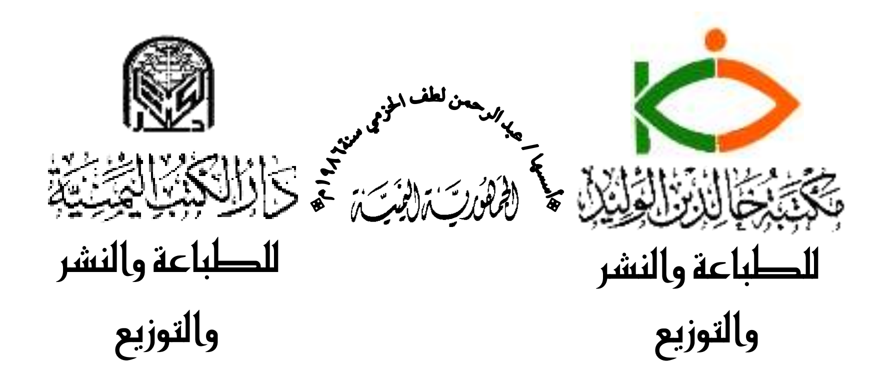
د. أمير محمد المدري





الطَّبْعَة الأُوْلَى

٢٠١٩م - ١٤٤١هـ



المركز الرئيسي صنعاء – شارع العدل

صنعاء الدائري الغربي – جولة القادسية

تلفاكس : (٢٢٤٦٩٤)

فرع عدن كريتر – الميدان – تحت فندق العامر فرزة الشيخ عثمان ت : (٠٢/٢٦٥٧٠٦)

المحتويات



بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

قال الشاعر:

لو أن ألف بانٍ خلفهم هادمٌ كفى   فكيف ببانٍ خلفه ألف هادمِ

حدثت نفسي يوماً هل هذا المثل قد ينطبق على أعمالنا الصالحة؛ فهناك هوادم ومحبطات، ومبطلات تصيّرها هباءً منثورا؛ والمصيبة أننا قد لا نشعر إلا وقد انتهت حسناتنا، ولا يزال قول الله تعالى يتردد صداه في قلبي ،وأُذني: ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ [الحُجُرات: ٢]، فآليت على نفسي- جمعها، والحذر منها، والدعاء واللجوء إلى الله بالنجاة منها، فدونكها أخي القارئ.



انتبه

مصيبة المصائب وطامة الطوام، والتي تهون عندها كل مصيبة، وتخف عندها كل بلية أن يكدح المرء في الدنيا بأنواع من القرب والطاعات، وأصناف من الأعمال والعبادات، يُفني حياته وهو يظن أنه يُحسن عملا، ويحسب أنه سيجد العاقبة حميدة؛ فإذا بطاعاته التي أفنى فيها عمره قد ذهبت أدراج الرياح، وحبط ما صنع وقدّم، وإذا بالآمال قد خابت، وأضحت (كسرابٍ بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا؛ إنها أعمال: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٤] إنه الهباء المنثور الذي عناه الله بقوله: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣]



مقدمة:

الحمد لله الذي لا مانع لما وهَب، ولا مُعطي لما سلَب، طاعته للعاملين أفضل مكْتسب، وتقواه للمتقين أعلى نسب، هيأ قلوب أوليائه للإيمان وكتب، وسهّل لهم في جانب طاعته كل نصَب، أحمده على ما منحنا من فضله ووهب، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له هزم الأحزاب وغلب، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي اصطفاه وانتخب، صلى اللّه عليه وعلى صاحبه أبي بكر الفائق في الفضائل والرتب، وعلى عمر الذي فرّ الشيطان منه وهرب، وعلى عثمان ذي النورين التقي النقي الحسب، وعلى علي صهره وابن عمه في النسب، وعلى بقية أصحابه الذين اكتسوا في الدين أعلى فخر ومكتسب، وعلى التابعين لهم بإحسان ما أشرق النجم وغرّب، وسلم تسليما.

وبعد..

فإن الذنوب جراحات وأمراض، وكما أن الأمراض السرطانية وغيرها من الأمراض تُمثل تهديداً خطيراً على حياة الإنسان المصاب بها، فكذلك الذنوب والمعاصي منها ما يؤدي إلى حبوط الأعمال الصالحة وبطلانها، و إحباط العمل قد يمنع من دخول الجنة، أو يبطئ في دخولها، أو يمنع نيل الدرجات العلا، وقد يأتي العبد يوم القيامة، وقد تلاشت أعماله الصالحة وأصبح مُفلسا، قال تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ ۝٣٣﴾

[محمد: ٣٣]

قال الحسن: بالمعاصي والكبائر [١]، وعن عطاء: بالشك والنفاق [٢]، وعن ابن السائب: بالرياء والسمعة [٣]، وعن مقاتل: بالمن. وذلك أن قوماً منّوا بإسلامهم [٤].

وقد بوّب البخاري في كتاب الإيمان في صحيحه: باب خوف المؤمن من أن يُحبط عمله وهو لا يشعر؛ وترجم الإمام مسلم - أيضا - بَاب مخافة المؤمن أن يحبط عمله. قال الإمام ابن رجب - رحمه الله -: "وتبويب البخاري لهذا الباب يناسب أن يذكر فيه حبوط الأعمال الصالحة ببعض الذنوب" [٥].

وقال تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ

---

(١) ذكر ذلك الماوردي في "تفسيره" دون ذكر الكبائر ٥/ ٣٠٦، والبغوي في "تفسيره" ٧/ ٢٩٠، والقرطبي في "الجامع" ١٦/ ٢٥٤.

(٢) ذكر ذلك البغوي في "تفسيره" ٧/ ٢٩٠، وابن الجوزي في "زاد المسير" ٧/ ٤١٢.

(٣). انظر ابن الجوزي في "زاد المسير" ٧/ ٤١٢.

(٤) انظر: "تفسير مقاتل" ٤/ ٥١.

(٥) فتح الباري ــ لابن رجب(١/ ١٨١).

نَارٌ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ [البقرة: ٢٦٦]

و روى البخاري أن عمر - رضي الله عنه - سأل يوماً أصحاب رسول الله - ﷺ - عن هذه الآية: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ فقالوا: الله أعلم. فقال: قولوا: نعلم ولا نعلم. فقال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين. فقال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك. فقال: ضربت مثلاً لرجل غني يعمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله.

وقال عطاء الخراساني: "هو الرجل يختم له بشرك أو عمل كبيرة فيحبط عمله كله".

وقالت عائشة - رضي الله عنها -: "أبلغي زيدا أنه أحبط جهاده مع رسول الله - ﷺ - إلا أن يتوب" [1].

وهذا يدل على أن بعض السيئات تحبط بعض الحسنات، ثم تعود بالتوبة منها. وخرّج ابن أبي حاتم في " تفسيره " من رواية أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية قال: كان أصحاب رسول الله -ﷺ- يرون أنه لا يضر مع الإخلاص ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل صالح،

(١)[رواه الدارقطني (٥٢/٣) والبيهقي (٣٣٠/٥)]

فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ ﴾ [محمد: ٣٣]؛ فخافوا الكبائر بعد أن تحبط الأعمال [١].

وعن قتادة في هذه الآية قال: "من استطاع منكم أن لا يبطل عملا صالحا بعمل سيء فليفعل ولا قوة إلا بالله؛ فإن الخير ينسخ الشر، وإن الشر ينسخ الخير، وإن ملاك الأعمال: خواتيمها"[٢].

قال ابن رجب - رحمه الله -: "والآثار عن السلف في حبوط الأعمال بالكبيرة كثيرة جدا يطول استقصاؤها. حتى قال حذيفة - رضي الله عنه - "قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة".

وعن عطاء - رحمه الله - قال: "إن الرجل ليتكلم في غضبه بكلمة يهدم بها عمل ستين سنة أو سبعين سنة. وقال الإمام أحمد في رواية الفضل بن زياد، عنه: ما يؤمن أحدكم أن ينظر النظرة فيحبط عمله. " [٣]

مما سبق يتبين أن العبد قد يقترف أعمالا بسببها يضيع ويحبط صالح عمله، والمؤمن حريص على صيانة أعماله الصالحة من المفسدات

---

(١) فتح الباري لابن رجب(١٨٣/١).

(٢) تفسير الطبري(١٨٧/٢٢).

(٣) فتح الباري لابن رجب (٢٩٣/١).

والمبطلات، فالموضوع خطير جداً، فما هو الحبوط، وما هي الأعمال التي تكون سببًا في حبوط وبطلان الأعمال الصالحة؟ هذا ما سنعيش معه في ثنايا هذا البحث المتواضع.

أسأل اللّه أن ينفع به، و يجعله في ميزان الحسنات، و يعفو عنا الزلل، فإن أصبت فمن اللّه، وإن أخطأت فمن نفسي و الشيطان. ورحم اللّه من أهدى إليّ العيوب، وباللّه التوفيق.

الكاتب



أولا: تعريف الحبوط:

الحبوط في اللغة:

قال الراغب الأصفهاني: أصله من الحبط، وهو أن تكثر الدابة أكلًا حتى ينتفخ بطنها[١].

ويقول المفسرون: "الحبط هو فساد المواشي في بطونها من كثرة أكلها الكلأ فتنتفخ أجوافها، وربما تموت من ذلك"[٢].

إذًا يتضح أنَّ محبطات العمل الصالح هي: المعتقدات والأقوال والأفعال التي تُفسد ثواب الأعمال الصالحة، وتوجب العقوبة.

الحبط في الاصطلاح الشرعي:

قال ابن عاشور - رَحِمَهُ ٱللَّهُ -:-

« وحبط الأعمال: زوال آثارها المجعولة مرتبة عليها شرعًا، فيشمل آثارها في الدنيا والثواب في الآخرة، وهو سر قوله تعالى: "﴿حَبِطَتْ

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن: ص ٢١٦.

(٢) جامع البيان للطبري: ٢/٤٨٢، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٣/٥٠.

﴿أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾[(١)].

إذًا يتضح أن محبطات العمل الصالح هي: المعتقدات والأقوال والأفعال التي تُفسد ثواب الأعمال الصالحة، وتوجب العقوبة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: "فإذا كانت السيئاتُ لا تحبط جميع الحسناتِ، فهل تحبط بقدرها، وهل يحبط بعض الحسنات بذنب دون الكفر؟

فيه قولان للمنتسبين إلى السنة، منهم من ينكره، ومنهم من يثبته" انتهى[(٢)].

قال ابن القيم - رحمه الله - : "ومحبطات الأعمال ومفسداتها أكثر من أن تُحصر وليس الشأن في العمل إنما الشأن في حفظ العمل مما يفسده ويحبطه" [الوابل الصيب (١٨)]

القول الأول: أن السيئات لا تبطل الحسنات، بل الحسنات هي التي تمحو السيئات، وذلك بفضل الله سبحانه وكرمه وإحسانه.

يقول القرطبي - رحمه الله -"والعقيدة أن السيئاتِ لا تبطل الحسناتِ ولا

---

(١) تفسير التحرير و التنوير، (ج٣/٦٠٣).

(٢) "مجموع الفتاوى" (٦٣٨/١٠)

تحبطها " [١] انتهى.

القول الثاني: أن المعاصي والبدع تحبط أجر ما يقابلها من الحسنات على سبيل الجزاء، نسبه شيخ الإسلام ابن تيمية لأكثر أهل السنة [٢].

وهو اختيار شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم.

"وقد نص الإمام أحمد على هذا في رواية فقال: "ينبغي للعبد أن يتزوج إذا خاف على نفسه، فيستدين ويتزوج؛ لا يقع في محظور فيحبط عمله "[٣] انتهى.

واختلفَ أهلُ العلمِ في معْنَى حُبُوطِ العملِ على أقوالٍ[٤]:

١ - المرادُ مَن فعَلَ هذا الأفعال مُسَتخِفاً مستهزئًا.

٢ - خرجَ الوعيدُ مخرجَ الزَّجرِ الشديدِ، وظاهرُه غيرُ مرادٍ.

٣ - هو من مجازِ التشبيه، كأنَّ المعنى: فقد أشبَه من حبِطَ عملُه.

---

(١)الجامع لأحكام القرآن" (٣/٢٩٥)

(٢)انظر "مجموع الفتاوى" (١٠/٣٢٢).

(٣)مدارج السالكين (١/٢٧٨)

(٤)"فتح الباري" (٢/ ٣٢، ٣٣)، "شرح صحيح مسلم" (١٦/ ١٧٤)، "شرح سنن ابن ماجه" للسيوطي (٥٠)، "مرقاة المفاتيح" (٢/ ٥٢٩).

٤ - معناه: كادَ أن يَحبَطَ.

٥ - المـرادُ المبالغـةُ في نُقصَـانِ الثـوابِ؛ إذ حقيقـةُ الحبـوطِ إنمـا هـو بالرِّدَّةِ، وعبَّرَ بالحُبوطِ وهو البطلانُ للتهديدِ والتشديدِ.

٦ - المرادُ بالعملِ عمل الدنيا الذي كان بسببِ فعلِه لهذا الـذنبِ، أي لا يستمتعُ به.

٧ - المعنى: أُسقِطَتْ حسناتُه في مقابلَةِ سيئاتِه، وسُمِّيَ إحباطًا مجازًا. وقيلَ غير ذلك؛ فاللّٰه أعلم

ثانياً: محبطات الأعمال:

الذنوب التي تحبط الأعمال قسّمها بعض العلماء إلى قسمين: ذنوب كفرية، وذنوب غير كفرية. فأما الذنوب الكفرية فهي محبطة للعمل جمعِه، ولا تُبقِ لصاحبها على خير فعلَه. وأمَّا الأعمال غير الكفرية فهي من كبائر الذنوب، فإن العلماء يقولون: إنَّ حبوطَ العملِ في ذنبٍ وعيدٌ شديدٌ لفاعلِ الذنب، وهو عَلامةٌ على أنَّه كبيرَةٌ. قال ابن تيمية - رحمه الله -: "حُبوطُ العملِ لا يُتَوَعَّدُ به إلّا على ما هو من أعظمِ الكبائرِ[1]".

١-الكفر و الصد عن سبيل الله:

والكفر هو: ارتكاب ناقض ينقض به الإنسان قول القلب، أو عمله، أو قول اللسان، أو عمل الجوارح، مما دلت عليه الشريعة على كونه من النواقض.

والكفر ليس خاصاً بقول القلب، أو عمله، بل كما يكون بهما، يكون باللسان، ويكون بعمل الجوارح أيضا، وأي قول، أو عمل يُفسد أحد الأركان الأربعة من أركان الإيمان المطلق يعتبر مفسداً للإيمان بالكلية.

---

(١) "مجموع الفتاوى" (٢٢/ ٥٤).

أنواع الكفر:

الكفر كفران: كفرٌ أكبر مخرج من الملة، وكفرٌ أصغر لا يخرج من الملة.

فالكفر الأكبر: هو عدم الإيمان بالله ورسوله، سواءً كان معه تكذيب، أو شك، أو إباء، أو إعراض[١]، وأما الكفر الأصغر: ، فهو ما ورد إطلاق الكفر على فاعله، مع دلالة النصوص على عدم خروجه من الملة[٢].

وهناك من يقسِّم الكفر تقسيماً آخر فيقول: كفرٌ اعتقادي، وكفرٌ عملي، فالاعتقادي هو ما يتعلق بالقلب قولاً وعملا، والعملي هو ما يتعلق باللسان والجوارح[٣].

والكفر يحبط الأعمال، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [البقرة: ٢١٧]. ، وقال تعالى: ﴿وَمَن

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/٣٣٥) .

(٢) انظر: أعلام السنة المنشورة (١٢٧) .

(٣) انظر: كتاب الصلاة لأبن القيم (٥٥) .

﴿يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٥﴾ [المائدة: ٥]، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥].

قال ابن تيمية - رحمه الله -:

"ولا يحبط الأعمال غير الكفر؛ لأن من مات على الإيمان فإنه لا بد أن يدخل الجنة، ويخرج من النار إن دخلها، ولو حبط عمله كله لم يدخل الجنة قط، ولأن الأعمال إنما يحبطها ما ينافيها، ولا ينافي الأعمال مطلقاً إلا الكفر، وهذا معروف من أصول السنة "[1] انتهى.

وقد بيّن اللّه سبحانه وتعالى أن أعمال الكافرين كالسراب لا حقيقة لها، وأنها كالرماد في مهب الريح لا تثبت ولا تستقر، ومن ثم لا تنفع أصحابها.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝٣٩﴾ [النور: ٣٩]، وقال أيضاً: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ

[1] الصارم المسلول" (ص/٥٥)

ﭐلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾ [إبراهيم: ١٨]، و قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٣٢﴾ [محمد: ٣٢]

من كفر بالله، وصد عن سبيله، ووقف في وجه الحق لن يضر الله شيئًا، وإنما يضر نفسه ويخسرها، وسيحبط الله عمله، فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله.

قال ابن كثير - رحمه الله -: «يخبر تعالى عمّن كفر وصد عن سبيل اللّه وخالف الرسول وشاقه، وارتد عن الإيمان من بعد ما تبين له الهدى أنه لن يضر اللّه شيئًا، وإنما يضر نفسه ويخسرها يوم معادها، وسيحبط اللّه عمله فلا يثيبه على سالف ما تقدم من عمله الذي عقبه بردته مثقال بعوضة من خير، بل يحبطه ويمحقه بالكلية، كما أن الحسنات يذهبن السيئات» (١).

و قال سيد قطب - رحمه الله -: «إنه قرار من اللّه مؤكد، ووعد منه واقع: أن الذين كفروا، ووقفوا في وجه الحق أن يُبَلَغ إلى الناس؛ وصدوا الناس عنه بالقوة أو المال أو الخداع أو أية وسيلة من الوسائل، وشاقوا

(١) تفسير القرآن العظيم: ٧/٣٢٢.

الرسول - ﷺ - في حياته بإعلان الحرب عليه، والمخالفة عن طريقه، والوقوف في غير صفه. أو بعد وفاته بمحاربة دينه وشريعته ومنهجه والمتبعين لسنته والقائمين على دعوته. وذلك (من بعد ما تبين لهم الهدى). وعرفوا أنه الحق؛ ولكنهم اتبعوا الهوى، وجمح بهم العناد وأعماهم الغرض، وقادتهم المصلحة العاجلة.

الصادّين عن سبيل الله. لن يضروا دين الله، ولا منهجه، ولا القائمين على دعوته. ولن يُحدِثوا حدثًا في نواميسه وسننه. مهما بلغ من قوتهم، ومهما قدروا على إيذاء بعض المسلمين فترة من الوقت. [في ظلال القرآن]

قرار من الله مؤكد، ووعدٌ من الله واقع أن هؤلاء ﴿لن يضروا الله شيئًا﴾. وهم أضأل وأضعف من أن يُذكروا في مجال إلحاق ضرر بالله ﷻ. فليس هذا هو المقصود إنما المقصود أنهم لن يضروا دين الله، ولا منهجه، ولا القائمين على دعوته. ولن يُحدِثوا حدثًا في نواميسه وسننه. مهما بلغ من قوتهم، ومهما قدروا على إيذاء بعض المسلمين فترة من الوقت. فإن هذا بلاء وقتي يقع بإذن الله لحكمة يريدها ؛ وليست ضرًا حقيقيا لناموس الله وسنته ونظامه ونهجه وعباده القائمين على نظامه ونهجه. والعاقبة مقررة: (وسيُحبط أعمالهم). فتنتهي إلى الخيبة والدمار. كما تنتهي

الماشية التي ترعى ذلك النبات السام! "[١].

٢-الشرك:

وهو جعل شريك لله تعالى في ربوبيته وإلهيته، . قال ابن سعدي: "حقيقة الشرك أن يُعبَد المخلوق كما يعبَد اللّه، أو يُعظَّم كما يعظَّم اللّه، أو يصرَف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية" [٢].

وقال الدهلوي: "إن الشرك لا يتوقّف على أن يعدِل الإنسان أحدًا باللّه، ويساوي بينهما بلا فرق، بل إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال - خصها اللّه تعالى بذاته العلية، وجعلها شعارًا للعبودية - لأحد من الناس، كالسجود لأحد، والذبح باسمه، والنذر له، والاستعانة به في الشدة، والاعتقاد أنه ناظر في كل مكان، وإثبات التصرف له، كل ذلك يثبت به الشرك ويصبح به الإنسان مشركًا"[٣].

أنواع الشرك:

الشرك ثلاثة أنواع:

---

(١) في ظلال القرآن،(ج٦/ ٣٣٠٠ .

(٢)تيسير الكريم الرحمن (٢/٤٩٩)..

(٣)رسالة التوحيد (ص٣٢، ٣٣)..

أولا: الشرك الأكبر.

ثانيا: الشرك الأصغر.

ثالثا: الشرك الخفي.

الشرك الأكبر:

تعريفه: هو مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.

أنواع الشرك الأكبر:

وهو ثلاثة أنواع، يتعلق كل نوع بأنواع التوحيد الثلاثة:

- الشرك في الربوبية.
- الشرك في توحيد الأسماء والصفات
- الشرك في توحيد الألوهية

الشرك الأصغر:

تعريفه: قال ابن سعدي: "هو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسّل بها إلى الشرك كالغلو في المخلوق الذي لا يبلغ رتبة العبادة، كالحلف بغير

اللّه ويسير الرياء ونحو ذلك"[١].

وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن رسول اللّه - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر»، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول اللّه؟ قال: «الرياء، يقول اللّه عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء»[٢].

إنَّ العبادة تعبير عن العقيدة؛ فإذا لم تصح العقيدة لم تصح العبادة؛ وأداء الشعائر وعمارة المساجد ليست بشيء ما لم تعمر القلوب بالإعتقاد الإيماني الصحيح، وبالعمل الواقع الصريح، وبالتجرد لله في العمل والعبادة على السواء. [في ظلال القرآن].

أنواع الشرك الأصغر:

يمكن حصرها فيما يأتي:

أ - **قولي:**

وهو ما كان باللسان ويدخل فيه ما يأتي:

١ - الحلف بغير اللّه تعالى.

---

(١) القول السديد لابن سعدي:(١٥)..

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/٤٢٨، ٤٢٩)، والبيهقي في الشعب (٥/٣٣٣).

٢ - قول ما شاء الله وشئت.

٣ - الاستسقاء بالأنواء.

ب - **فعلي**:

وهو ما كان بأعمال الجوارح، ويدخل فيه ما يأتي:

١ - التطير.

٢ - إتيان الكهان والعرافين.

٣ - لبس الحلقة والخيط ونحوهما.

٤ - تعليق التمائم.

ج - **قلبي**:

ومن أمثلته الرياء. الشرك الخفي وسيأتي في العمل ال٢٤ من المحبطات:

عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم من المسيح عندي؟» قال: قلنا: بلى، قال: «الشرك

الخفي؛ أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل»[١].

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: «أيها الناس، اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل»، فقال له من شاء اللّه أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول اللّه؟ قال: «قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفره لما لا نعلم»[٢].

وقد ورد في القران الكريم أنّ الشرك يحبط جميع الأعمال، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾ [التوبة: ١٧].

فأعمالهم باطلة، و فاسدة أصلًا، ومنها عمارة بيت اللّه التي لا تقوم إلا على قاعدة من توحيد اللّه.

إن العبادة تعبير عن العقيدة؛ فإذا لم تصح العقيدة لم تصح العبادة؛ وأداء الشعائر وعمارة المساجد ليست بشيء ما لم تعمر القلوب بالاعتقاد الإيماني الصحيح، وبالعمل الواقع الصريح، وبالتجرد للّه في العمل

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/٣٠)، وابن ماجه في الزهد، باب: الرياء بالسمعة (٤٢٠٤).

(٢) رواه أحمد والطبراني وأبو يعلى..

والعبادة على السواء"[١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

والله يقول للرسول ﷺ: إن الله قد أوحى إليك كما أوحى إلى النبيين من قبلك أن الشرك يحبط العمل ويفسده، ويؤول في النهاية إلى الخسران الأكبر في الآخرة بدخول النار والعياذ بالله.

"عملوا أعمالًا اعتقدوا أنها على شيء فلما عُرضت على الملك الحكم العدل الذي لا يجور ولا يظلم أحدًا إذا بها لا شيء بالكلية". [تفسير ابن كثير].

و قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

" هذا يوم القيامة حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من الخير والشر فأخبر أنه لا يحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء؛ وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي:

---

(١) في ظلال القرآن،(ج ٣/ ١٦١٤)..

إما الإخلاص فيها. وإما المتابعة لشرع اللّه، فكل عمل لا يكون خالصًا وعلى الشريعة المرضية فهو باطل فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين وقد تجمعهما معا فتكون أبعد من القبول حينئذ.

إن من سنن اللَّه - تعالى - التي لا تتغير أنَّ اللَّه لا يقبل من عباده عملا إلا أن يأتوا بالتوحيد الذي هو حق اللَّه على العبيد،

قال مجاهد والثوري "وقدمنا" أي عمدنا وكذا قال السدي. وبعضهم يقول أتينا عليه.

وقوله تعالى: "فجعلناه هباء منثورا" قال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي ﵁ في قوله: "هباء منثورا" قال: شعاع الشمس إذا دخل الكوة.

وكذا قال الحسن البصري: "هو الشعاع في كوة أحدكم ولو ذهب يقبض عليه لم يستطع"، و عن ابن عباس: "هباء منثورًا " قال هو الماء المهراق.

و عن علي: "هباء منثورًا ". قال الهباء وهج الدواب.

وقال قتادة في قوله: "هباء منثورًا "، قال أما رأيت يبس الشجر إذا ذرته

الريح؟ فهو ذلك الورق. وعن عبيد بن يعلى قال: وإن الهباء الرماد إذا ذرته الريح.

" وحاصل هذه الأقوال التنبيه على مضمون الآية وذلك أنهم عملوا أعمالًا اعتقدوا أنها على شيء فلما عرضت على الملك الحكم العدل الذي لا يجور ولا يظلم أحدًا إذا بها لا شيء بالكلية، وشبهت في ذلك بالشيء التافه الحقير المتفرق الذي لا يقدر صاحبه منه على شيء بالكلية "[1].

وقد يتهاوَنُ بعْضُ النَّاسِ بهذا النوعِ؛ بتسميتِهِ شركًا أصغرَ، وهو إنما سُمِّي أصغر بالنسبة للشرك الأكبر، وإلا فهو أكبر مِن جميع الكبائر؛ ولذلك قال العلماء:

١ - إن الشرك الأصغر إذا دخل عملًا فسَد ذلك العمل وحبط.

إن الشرك الأصغر لا يُغفر لصاحبه، وليس فاعله تحت المشيئة كصاحب الكبيرة؛ بل يُعذَّب بقدْره، قال - تعالى:- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] فالواجب على المؤمن أن يَحْذرَ مِنَ الشرك بجميع أنواعه، وأن يخشى على نفسه منه، فقد خاف إبراهيم -

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير):٦/٩٤.

عليه السلام - من الشرك، وهو إمام الموحدين؛ فقال لربه: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥﴾ [إبراهيم: ٣٥]، قال إبراهيم التيمي: "ومَن يأمَن البلاءَ بعدَ إبراهيم - عليه السلام؟ (١).

فيا أخي الحبيب: إياك أن تشرك بالله ربك الذي خلقك فسواك فعدلك، وهو الذي أطعمك ورزقك وأعطاك ومنحك وهو الذي بيده كل شيء وإليه يرجع الأمر كله، فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون.

٣ - **النفاق**:

أ ـ النفاق لغة:

هو مأخوذ من النفق، وهو السرب في الأرض الذي يستتر فيه؛ سُمي النفاق بذلك؛ لأن المنافق يستر كفره ويغيبه.

وقيل إنه مأخوذ من نافقاء اليربوع، وهو باب جحره؛ لأنه في ظاهره أرض مستوية وباطنه حفرة قد أعدها اليربوع للتخلص من الخطر وقت الحاجة؛ فاستطاع بهذا الفعل أن يخدع الصياد؛ فكذلك المنافق يظهر

---

(١) فتح المجيد" (ص٧٤).

خلاف ما يبطن"[١].

ب. النفاق في الاصطلاح:

هو إظهار الإسلام والخير، وإبطال الكفر والشر.

وهو مخالفة الباطن للظاهر، وإظهار القول باللسان، أو الفعل؛ بخلاف ما في القلب من الاعتقاد. أي: هو إظهار متابعة ما جاء به الرسول - ﷺ - مع إبائه وجحده بالقلب، فهو مظهر للإيمان ومبطن للكفر.

والمنافق: يخالف قوله فعله، وسره علانيته؛ فهو يدخل الإسلام من باب، ويخرج من باب آخر، ويدخل في الإيمان ظاهرًا، ويخرج منه باطنًا.

والنفاق: هو مصطلح شرعي لم تعرفه العرب بهذا المعنى الخاص، وإن كان أصله الذي أخذ منه في اللغة معروفًا[٢].

ج. أنواع النفاق:

قال ابن القيم: "النفاق نوعان: أكبر وأصغر.

فالأكبر يوجب الخلود في النار في دركها الأسفل، وهو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في

---

[١] انظر معاجم اللغة؛ مادة (نفق) : (لسان العرب) ج١٠، ص ٣٥٨. (تاج العروس) ج ١٣، ص ٤٦٣. و (معجم مقاييس اللغة) ج ٥، ص ٤٥٤. و (مفردات القرآن) ص: ٨١٩.

[٢] انظر (لسان العرب) ج١٠، ص ٣٥٩. و (الإيمان) لابن تيمية: ص ٢٨٤.

الباطن منسلخ من ذلك كله، مكذّب به". [١]

وقال ابن رجب: "والنفاق في الشرع ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: النفاق الأكبر، وهو أن يظهر الإنسان الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويبطن ما يناقض ذلك كله أو بعضه، وهذا هو النفاق الذي كان على عهد رسول الله ﷺ، ونزل القرآن بذمّ أهله وتكفيرهم، وأخبر أن أهله في الدرك الأسفل من النار.

" "النفاق هو إظهار الخير وإسرار الشر، وهو أنواع: اعتقادي وهو الذي يخلد صاحبه في النار، وعملي وهو من أكبر الذنوب". [تفسير ابن كثير،١/٤٨].

والثاني: النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل، وهو أن يظهر الإنسان علانية صالحة، ويبطن ما يخالف ذلك. [٢]

د. أصول النفاق:

وأصول هذا النفاق ترجع إلى الخصال المذكورة في هذه الأحاديث،

---

(١) ((مدارج السالكين)) (١/ ٣٧٦)، وانظر في هذا التقسيم: ((الرياض النضرة)) للشيخ عبدالرحمن بن سعدي، - رحمه الله - (ص٢٤٠)، و ((جامع العلوم والحكم)) (ص٤٠٣).

(٢) ((جامع العلوم والحكم)) (ص٤٠٣).

وهي خمس:

أحدها: **إذا حدث كذب.**

والثاني: **إذا وعد أخلف:**

وهو على نوعين، أحدهما: أن يَعِدَ ومن نيته أن لا يفي بوعده، وهذا أشر الخُلف، ولو قال: أفعل كذا إن شاء اللّه تعالى ومن نيّته أن لا يفعل كان كذبا وخُلفا، قاله الأوزاعي، الثاني: أن يعِد ومن نيته أن يفيَ، ثم يبدو له فيخلِف من غير عذر له في الخلف.

والثالث: **إذا خاصم فجر:**

ويعني بالفجور أن يخرج عن الحق عمدًا حتى يصير الحق باطلًا والباطل حقًّا، وهذا مما يدعو إليه الكذب. فإذا كان الرجل ذا قدرة عند الخصومة ـ سواء كانت خصومته في الدين أو في الدنيا ـ على أن ينتصر للباطل، ويخيّل للسامع أنه حقّ، ويوهن الحقّ، ويخرجه في صورة الباطل، كان ذلك من أقبح المحرمات وأخبث خصال النفاق.

الرابع: **إذا عاهد غدر ولم يفِ بالعهد**

والغدر حرام في كلّ عهد بين المسلم وغيره، ولو كان المعاهد كافرًا، ولهذا في حديث عبد اللّه بن عمرو رضي الله عنهما -عن النبي صلى الله عليه وسلم -:

«من قتل نفسا معاهدًا بغير حقها لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد

من مسيرة أربعين عامًا»[١]، وقد أمر الله تعالى في كتابه بالوفاء بعهود المشركين إذا أقاموا على عهودهم ولم ينقضوا منها شيئا. وأمّا عهود المسلمين فيما بينهم فالوفاء بها أشد، ونقضها أعظم إثما. ومن أعظمها نقض عهد الإمام على من بايعه ورضي به، وفي الصحيحين عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»، فذكر منهم: «ورجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه ما يريد وفّى له، وإلا لم يفِ له»[٢].

ويدخل في العهود التي يجب الوفاء بها ويحرم الغدر فيها جميع عقود المسلمين فيما بينهم إذا تراضوا عليها من المبايعات والمناكحات وغيرها من العقود اللازمة التي يجب الوفاء بها، وكذلك ما يجب الوفاء به لله عز وجل مما يعاهد العبد ربّه عليه من نذر التَّبرُّر ونحوه.

الخامس: **الخيانة في الأمانة**:

وحاصل الأمر أن النّفاق الأصغر كلَّه يرجع إلى اختلاف السريرة والعلانية، قاله الحسن. وقال الحسن أيضا: من النفاق اختلاف القلب

---

(١) أخرجه البخاري في الديات، باب: إثم من قتل ذميًا بغير جرم (٦٩١٤).

(٢) أخرجه البخاري في الشهادات، باب: اليمين بعد العصر (٢٦٧٢)، ومسلم في الإيمان (١٠٨).

واللسان، واختلاف السر والعلانية، واختلاف الدخول والخروج". [١]

وأضاف ابن رجب قوله: "ومن أعظمِ خصال النّفاق العملي أن يعمل الإنسان عملا ويظهر أنه قصد به الخير وإنما عمله ليتوصّل به إلى غرض له سيئ، فيتمّ له ذلك، ويتوصّل بهذه الخديعة إلى غرضه، ويفرح بمكره وخداعه وحمد الناس له على ما أظهره، ويتوصّل به إلى غرضه السيئ الذي أبطنه، وهذا قد حكاه اللّه في القرآن عن المنافقين واليهود، فحكى عن المنافقين أنهم: ﴿ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧﴾ [التوبة: ١٠٧]، وأنزل في اليهود: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨٨﴾ [آل عمران: ١٨٨]، وهذه الآية نزلت في اليهود، سألهم النبي ﷺ عن شيء فكتموه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ما سُئلوا عنه، قال ذلك ابن عباس، وحديثه مخرّج في الصحيحين. وفيهما أيضًا عن أبي سعيد أنها نزلت في رجال من المنافقين كانوا إذا خرج النبي ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم

---

[١] جامع العلوم والحكم (٢/٤٨١) وما بعدها، بتصرف..

خلافه، فإذا قدم رسول اللّه ﷺ من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا"[(١)].

هـ. النفاق محبط للأعمال الصالحة:

قال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الأحزاب: ١٩].

"إن اللّه وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشّحّ، ولم يخصُص وصفهم من معاني الشحّ، بمعنى دون معنى، فهم كما وصفهم اللّه به أشحة على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة في سبيل اللّه، على أهل مسكنة المسلمين.

" النفاق الأصغر وسيلة وذريعة إلى النفاق الأكبر، كما أنّ المعاصي بريد الكفر، فكما يُخشى على من أصرّ على المعصية أنْ يسلَبَ الإيمانَ عند الموت كذلك يخشى على من أصرّ على خصال النفاق أنْ يسلَبَ الإيمانَ، فيصير منافقاً خالصاً" [جامع العلوم والحكم (٢/٤٩٢-٤٩٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب: قوله: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْاْ} (٤٥٦٨)، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم (٢٧٧٨).، جامع العلوم والحكم (٢/٤٩٣-٤٩٤).

عن قتادة: ﴿فإذا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بألْسِنَةٍ حِدادٍ﴾ أما عند الغنيمة، فأشحّ قوم، وأسوأ مُقاسَمَة: أعطُونا أعطُونا، فإنا قد شهدنا معكم. وأما عند البأس فأجبن قوم، وأخذله للحقّ.

وقوله: ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا فأحْبَطَ اللّهُ أعمالَهُمْ﴾، فهم لم يصدّقوا اللّه ورسوله، ولكنهم أهل كفر ونِفاق. فأحبط اللّه أعمالهم: أي فأذهب اللّه أجورَ أعمالهم وأبطلَها. وذُكر أن الذي وصِفَ بهذه الصفة كان بَدْريّا، فأحبط اللّه عمله"[١].

العلة أن قلوبهم لم تخالطها بشاشة الإيمان، ولم تهتد بنوره، ولم تسلك منهجه. (فأحبط اللّه أعمالهم﴾.

و قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [المائدة: ٥٣].

قال الطبري - رحمه الله -: "يقول المؤمنون: أهؤلاء الذين حلفوا لنا باللّه جهد أيمانهم كذبا إنهم لمعنا. يقول اللّه تعالى ذكره مخبرا عن حالهم عنده بنفاقهم وخبث أعمالهم: ﴿حَبِطَتْ أعمالُهُمْ﴾ يقول: ذهبت أعمالهم التي عملوها في الدنيا باطلًا لا ثواب لها ولا أجر، لأنهم عملوها

---

[١] تفسير الطبري بتصرف يسير،(ج١٠/٢٧٦)..

على غير يقين منهم بأنها عليهم لله فرض واجب ولا على صحة إيمان بالله ورسوله، وإنما كانوا يعملونها ليدفعوا المؤمنين بها عن أنفسهم وأموالهم وذراريهم، فأحبط الله أجرها إذ لم تكن له فأصبحوا خاسرين يقول: فأصبح هؤلاء المنافقون عند مجيء أمر الله بإدالة المؤمنين على أهل الكفر قد وكسوا في شرائهم الدنيا بالأخرة، وخابت صفقتهم وهلكوا"[١].

النفاق محبط للأعمال، ولهذا كان معظم الصحابة يخشون على أنفسهم الوقوع فيه، أو لقاء الله بربع نفاق.

" لقد جاء الله بالفتح يومًا، وتكشفت نوايا، وحبطت أعمال، وخسرت فئات. ونحن على وعد من الله قائم بأن يجيء الفتح، كلما استمسكنا بعروة الله وحده؛ وكلما أخلصنا الولاء لله وحده. وكلما وعينا منهج الله، وأقمنا عليه تصوراتنا وأوضاعنا. وكلما تحركنا في المعركة على هدى الله وتوجيهه. فلم نتخذ لنا وليًا إلا الله ورسوله والذين آمنوا "[٢].

---

(١) المرجع السابق، (ج٤/٦٣٢) .

(٢) في ظلال القرآن،(ج ٢/٩١٧).

٤-كراهة ما أنزل الله:

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾[محمد: ٩].

"كرهوا ما أنزل الله من القرآن، فلم يقبلوه، بل أبغضوه"[(١)].

وقال سيد قطب - رحمه الله - في هذه الآية: " وهو تصوير لما يعتمل في قلوبهم ويختلج في نفوسهم من الكراهية لما أنزل الله من قرآن وشريعة ومنهج واتجاه. وهذا هو الذي يدفع بهم إلى الكفر والعناد والخصومة والملاحاة. وهي حالة كثير من النفوس الفاسدة التي تكره بطبعها ذلك النهج السليم القويم، وتصادمه من داخلها، بحكم مغايرة طبيعتها لطبيعته. وهي نفوس يلتقي بها الإنسان كثيرًا في كل زمان وفي كل مكان ، ويحس منها النفرة والكراهية لهذا الدين وما يتصل به؛ حتى إنها لتفزع من مجرد ذكره كما لو كانت قد لذعتها العقارب! وتتجنب أن يجيء ذكره أو الإشارة إليه فيما تسمع حولها من حديث! ولعلنا نشاهد في هذه الأيام حالة من هذا الطراز لا تخفى على الملاحظة!

إنها صورة وحركة ، ونهاية مطابقة لحال من كرهوا ما أنزل الله ثم تعاجبوا بالأعمال الضخام. المنتفخة كبطون الأنعام ، حين ترعى من ذلك

---

(١)انظر ((تفسير السعدي)) (٧/ ٦٧).

النبت السام"![1].

لذلك رغبنا نبينا -ﷺ- أن نقول: رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد -ﷺ- نبيا ثلاث مرات في الصباح والمساء، ومن قال ذلك فله ثواب عظيم، حيث روى ثوبان -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- قَالَ: «ما من عبدٍ مسلمٍ يقولُ حين يصبحُ وحين يمسي ثلاثَ مرَّاتٍ رضيتُ باللَّهِ ربًّا وبالإسلامِ دينًا وبمحمَّدٍ -ﷺ- نبيًّا، إلا كان حقًّا على اللَّهِ أنْ يُرضيَهُ يومَ القيامةِ»[2].

جزاء الكراهية لما أنزل الله، أنْ أحبط الله أعمالهم. فالحبوط انتفاخ بطون الماشية عند أكلها نوعًا من المرعى سام. ينتهي بها إلى الموت والهلاك. وكذلك انتفخت أعمالهم ووورمت وانبعجت. ثم انتهت إلى الهلاك والضياع![الظلال]

وقال سبحانه: ﴿بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المؤمنون: ٧٠] [المؤمنون: ٧٠]، وقد وصف سبحانه المنافقين بهذه الصفة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة: ٥٤] [التوبة: ٥٤]، وقال سبحانه: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ

---

(١) في ظلال القرآن،(ج ٦/ ٣٢٨٩)..

(٢)[رواه احمد في مسنده،ج ٤/ ص ٣٣٧ حديث رقم: ١٨٩٨٨].

رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ. . ﴾ [التوبة: ٨١].

فقد كرهوا الجهاد بسبب ما في قلوبهم من النفاق [١]، ولذلك ذكر الأئمة. . . بغض أو كراهية ما جاء به الرسول - ﷺ -أو بعضه، ضمن أقسام النفاق الأكبر.

وقد كفّر العلماء من اتصف بهذه الصفة، "لأنه يعترف للّه ورسوله بكل ما أخبر به ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون، لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه، ويقول: أنا لا أقر بذلك ولا ألتزمه، وأبغض هذا الحق وأنفر عنه، . . وتكفير هذا معلوم بالاضطرار من دين

مصيبة المصائب وطامة الطوام ، والتي تهوي عندها كل مصيبة ، وتخف عندها كل بلية أن يكدح المرء في الدنيا بأنواع من القرب والطاعات، وأصناف من الأعمال والعبادات ، يفني حياته وهو يظن أنه يحسن عملا ، ويحسب أنه سيجد العاقبة حميدة ؛ فإذا بطاعاته التي أفنى فيها عمره قد ذهبت أدراج الرياح، وحبط ما صنع وقدّم، وإذا بالآمال قد خابت ، وأضحت) كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا .

(١)انظر: ((فتح القدير)) (٢/ ٣٨٨).

الإسلام، والقرآن مملوء من تكفير مثل هذا النوع. "[(١)]، وجاء في شرح الإقناع: "قوله: أو كان مبغضًا لما جاء به الرسول، ولم يشرك بالله، لكن أبغض السؤال عنه ودعوة الناس إليه، كما هو حال من يدعي العلم ويقرر أنه دين الله ورسوله ويبغضونه أكثر من بغض دين اليهود والنصارى، بل يعادون من التفت إليه، ويحلون دمه وماله، ويرمونه عند الحاكم.. " إلى أن يقول: "والتكفير بالاتفاق فيمن أبغض النهي عنه، وأبغض الأمر بمعاداة أهله، ولو لم يتكلم وينصر، فكيف إذا فعل ما فعل.. "[(٢)].

لكن ينبغي التفريق بين الكره والنفور الطبعي، وبين الكره الاعتقادي، قال الراغب - رحمه الله -: "الكره المشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه، والكره ما يناله من ذاته وهو يعافه، وذلك على ضربين، أحدهما: ما يعاف من حيث الطبع، والثاني: ما يعاف من حيث العقل أو الشرع، ولهذا يصح أن يقول الإنسان في الشيء الواحد إني أريده وأكرهه بمعنى إني أريده من حيث الطبع وأكرهه من حيث الشرع، أو أريده من حيث العقل أو الشرع وأكرهه من حيث الطبع،

---

(١) ((الصارم المسلول)) (ص: ٥٢٤)، وانظر ((مجموع الفتاوى)) (١٤/ ١٠٨)، و ((قاعدة في المحبة)) (ص: ١٩٣).

(٢) انظر ((الكلمات النافعة)) (ص: ٧٩).

وقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١٦] أي تكرهونه من حيث الطبع"[١]، وقال الإمام البغوي - رحمه الله -: "وهو كُرهٌ لكم، أي شاق عليكم، قال بعض أهل المعاني: هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح، لا أنهم كرهوا أمر الله تعالى.."[٢]، وقال الإمام القرطبي - رحمه الله -: "وإنما كان الجهاد كُرهًا لأن فيه إخراج المال ومفارقة الوطن والأهل، والتعرض بالجسد للشجاج والجراح وقطع الأطراف وذهاب النفس، فكانت كراهيتهم لذلك، لا أنهم كرهوا فرض الله تعالى"[٣]، وبين الإمام ابن القيم - رحمه الله -أن الكره لا ينافي الرضى والتسليم فقال: "وليس من شرط الرضى أن لا يحس بالألم والمكاره، بل أن لا يعترض على الحكم ولا يتسخطه، ولهذا أشكل على بعض الناس الرضى بالمكروه، وطعنوا فيه: وقالوا: هذا ممتنع على الطبيعة، وإنما هو الصبر، وإلا فكيف يجتمع الرضى والكراهة؟ وهما ضدان، والصواب: أنه لا تناقض بينهما، وأن وجود التألم وكراهة النفس له لا ينافي الرضى، كرضى المريض بشرب الدواء الكريه، ورضى الصائم في اليوم الشديد الحر بما يناله من ألم

---

(١) ((المفردات)) (ص: ٤٢٩).

(٢) ((تفسير البغوي)) (١/ ٢٤٦).

(٣) ((تفسير القرطبي)) (٣/ ٣٩).

الجوع والظمأ، ورضى المجاهد بما يحصل له في سبيل اللّه من ألم الجراح وغيرها. ."[١].

٥- إتباع ما أسخط اللّه:

قال تعالى: "﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ [محمد: ٢٨].

قال ابن عاشور - رحمه الله - :-

"وإتباعهم ما أسخط اللّه: هو إتباعهم الشرك. والسخط مستعار لعدم الرضى بالفعل. وكراهتهم رضوان اللّه: كراهتهم أسباب رضوانه وهو الإسلام.

(ذلك بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ) : "وهو الكفر، أو كتمان بعث الرسول، أو تسويل الشيطان، أقوال، والمتبع الشيء هو مقبل بوجهه عليه، فناسب ضرب الملائكة وجهه. (وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ) : وهو الإيمان بالله واتباع دينه. والكافر للشيء متول عنه، فناسب ضرب الملائكة دبره؛ ففي ذلك مقابلة أمرين بأمرين!! تفسير البحر المحيط: ٨/٦٤].

والجمع بين الإخبار عنهم باتباعهم ما أسخط اللّه وكراهتهم رضوانه مع إمكان الاجتزاء بأحدهما عن الآخر للإيماء إلى أن ضرب الملائكة وجوه هؤلاء مناسب لإقبالهم على ما أسخط اللّه، وأن ضربهم أدبارهم مناسب لكراهتهم رضوانه لأن الكراهة تستلزم الإعراض والإدبار.

---

(١) ((مدارج السالكين)) (٢/ ١٨٢، ١٨٣).

فكان ذلك التعذيب مناسبًا لحالي توقيهم في الفرار من القتال وللسببين الباعثين على ذلك التوقي.

وفرّع على اتباعهم ما أسخط اللّه وكراهتهم رضوانه قال: ﴿فأحبط أعمالهم﴾ فكان اتباعهم ما أسخط اللّه وكراهتهم رضوانه سببًا في الأمرين: ضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم عند الوفاة، وإحباط أعمالهم[1].

" ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ بِسْـــــم

وهو مشهد مفزع مهين. وهم يحتضرون. ولا حول لهم ولا قوة. وهم في نهاية حياتهم على هذه الأرض.

وفي مستهل حياتهم الأخرى. هذه الحياة التي تفتتح بضرب الوجوه والأدبار. في لحظة الوفاة، لحظة الضيق والكرب والمخافة. الأدبار التي ارتدوا عليها من بعد ما تبين لهم الهدى! فيالها من مأساة! ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: ٢٨]

فهم الذين أرادوا لأنفسهم هذا المصير واختاروه. هم الذين عمدوا إلى ما أسخط اللّه من نفاق ومعصية وتآمر مع أعداء اللّه وأعداء دينه ورسوله فاتبعوه. وهم الذين كرهوا رضوان اللّه فلم يعملوا له، بل عملوا ما

---

[1] التحرير و التنوير،(ج١٧/٤٠٤٤).

يسـخط اللّه ويغضـبه. . فـأحبط أعمـالهم. . الـتي كـانوا يعجبـون بهـا ويتعـاجبون ؛ ويحسـبونها مهـارة وبراعـة وهـم يتـآمرون علـى المـؤمنين ويكيدون. فإذا بهذه الأعمال تتضخم وتنتفخ. ثم تهلك وتضيع! "[1].

٦- إتباع أهل الضلال من أهل الكتاب:

قال تعالى: "﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [التوبة: ٦٩].

قال الطبري - رحمه الله -: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد - صلى الله عليه وسلم -: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين الذين قالوا إنما كنا نخوض ونلعب: أبا اللّه وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزءون، كالذين من قبلكم من الأمم الذين فعلوا فعلكم فأهلكهم اللّه، وعجّل لهم في الدنيا الخزي مع ما أعدّ لهم من العقوبة والنكال في الآخرة؟ يقول لهم جل ثناؤه: واحذروا أن يحلّ بكم من عقوبة اللّه مثل الذي حلّ بهم، فإنهم كانوا أشدّ منكم قوّة وبطشا، وأكثر منكم أموالًا وأولادا. ﴿فاستَمْتَعُوا بخَلاقِهِمْ﴾ يقول:

---

[1] في ظلال القرآن،(ج ٦/ ٣٢٩٨)..

فتمتعوا بنصيبهم وحظهم من دنياهم ودينهم، ورضوا بذلك من نصيبهم في الدنيا عوضا من نصيبهم في الآخرة. وقد سلكتم أيها المنافقون سبيلهم في الاستمتاع بخلاقكم، يقول: فعلتم بدينكم ودنياكم كما استمتع الأمم الذين كانوا من قبلكم الذين أهلكتهم بخلافهم أمري، بخلاقهم، يقول: كما فعل الذين من قبلكم بنصيبهم من دنياهم ودينهم، وخضتم في الكذب والباطل على اللّه كالذي خاضوا، يقول: وخضتم أنتم أيها المنافقون كخوض تلك الأمم قبلكم"[١].

و عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول اللّه -ﷺ-: «وَالّذِي نَفْسِي بيَدِهِ لَتَتّبِعُنّ سُنَنَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرا بشِبْرٍ، وذِرَاعا بذِرَاعٍ، وباعا بباعٍ حتى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبّ لَدَخَلْتُمُوهُ" قالوا: ومن هم يا رسول اللّه، أهل الكتاب؟ قال: "فَمَهُ؟ »"[٢].

ومن ذلك: ما روى الزهري، عن سنان بن أبي سنان الدؤلي عن أبي واقد الليثي أنه قال: «خرجنا مع رسول اللّه ﷺ إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها، وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة، فقلنا يا رسول اللّه اجعل لنا ذات

---

[١] تفسير الطبري(١١/٥٥١)

[٢] أخرجه البخاري ح (٣٢٦٩، ٦٨٨٩)، ومسلم (٢٦٦٩).

أنواط، كما لهم ذات أنواط؟ فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر! إنها السنن، قلتم - والذين نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ، لتركبن سنن من كان قبلكم»[(١)].

وما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي - ﷺ - قال: «لتأخذن أمتي مأخذ القرون قبلها: شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، قالوا: فارس والروم؟ قال: فمن الناس إلا أولئك»[(٢)]، وهذا كله خرج منه مخرج الخبر عن وقوع ذلك، والذم لمن يفعله، كما كان يخبر عما يفعله الناس بين يدي الساعة من الأشراط والأمور المحرمات.

فعُلم أن مشابهتها اليهود والنصارى، وفارس والروم - مما ذمه الله ورسوله، وهو المطلوب، ولا يقال: فإذا كان الكتاب والسنة قد دلا على وقوع ذلك فما فائدة النهي عنه؟ لأن الكتاب والسنة - أيضًا - قد دلا على أنه لا يزال في هذه الأمة طائفة متمسكة بالحق الذي بعث به محمد - ﷺ - إلى قيام الساعة، وأنها لا تجتمع على ضلالة، ففي النهي عن ذلك تكثير هذه الطائفة المنصورة، وتثبيتها، وزيادة إيمانها، فنسأل الله

---

(١)رواه الترمذي (٢١٨٠) وأحمد (٥/ ٢١٨) (٢١٩٥٠) وابن حبان (١٥/ ٩٤) والطبراني (٣/ ٢٤٤) والنسائي في ((السنن الكبرى)) (٦/ ٣٤٦) قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وأحمد شاكر في ((عمدة التفسير)) (٢/ ٥٤): أشار في المقدمة إلى صحته ، وصححه الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)).

(٢)رواه البخاري (٧٣١٩)..

المجيب: أن يجعلنا منها.

وعن ابن عباس -رضي الله عنه- في قوله كالذين من قبلكم الآية قال: " ما أشبه الليلة بالبارحة" كالذين من قبلكم" هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم لا أعلم إلا أنه قال: «والذي نفسي بيده لتتبعنهم حتى لو دخل الرجل منهم جُحر ضب لدخلتموه» [(١)]..

﴿أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ أي بطلت مساعيهم فلا ثواب لهم عليها لأنها فاسدة في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون لأنهم لم يحصل لهم عليها ثواب "[(٢)].

٧- سوء الأدب مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:-

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾

[الحجرات: ٢].

قال ابن عاشور: " ظاهر الآية التحذير من حبط جميع الأعمال لأن الجمع المضاف من صيغ العموم، ولا يكون حبط جميع الأعمال إلا في

---

(١) تفسير الطبري: ١٤/٣٤٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير): ٤/١٧٣..

حالة الكفر لأن من الأعمال الإيمان فمعنى الآية: أن عدم الاحتراز من سوء الأدب مع النبي - ﷺ - بعد هذا النهي قد يفضي بفاعله إلى إثم عظيم يأتي على عظيم من صالحاته أو يفضي به إلى الكفر.

قال ابن عطية: أي يكون ذلك سببًا إلى الوحشة في نفوسكم فلا تزال معتقداتكم تتدرج القهقرى حتى يؤول ذلك إلى الكفر؛ فتحبط الأعمال.

و لأن عدم الانتهاء عن سوء الأدب مع الرسول - ﷺ - يعوّد النفس بالاسترسال فيه فلا تزال تزداد منه وينقص توقير الرسول -ﷺ- من النفس وتتولى من سيء إلى أشد منه حتى يؤول إلى عدم الاكتراث بالتأدب معه وذلك كفر. وهذا معنى "وأنتم لا تشعرون" لأن المنتقل من سيء إلى أسوأ لا يشعر بأنه آخذ في التملي من السوء بحكم التعود بالشيء قليلًا حتى تغمره المعاصي وربما كان آخرها الكفر حين تضرى النفس بالإقدام على ذلك.

ويجوز أن يُراد حبط بعض الأعمال على أنه عام مراد به الخصوص فيكون المعنى حصول حطيطة في أعمالهم بغلبة عظم ذنب جهرهم له بالقول، وهذا مجمل لا يعلم مقدار الحبط إلا الله تعالى".

وفي قوله: ﴿وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢﴾ تنبيه إلى مزيد الحذر من هذه

المهلكات حتى يصير ذلك دربة حتى يصل إلى ما يحبط الأعمال، وليس عدم الشعور كائنا في إتيان الفعل المنهي عنه لأنه لو كان كذلك لكان صاحبه غير مكلف لامتناع تكليف الغافل ونحوه[1].

﴿ يا أيها الذين آمنوا﴾. ليوقروا النبي الذي دعاهم إلى الإيمان. ﴿أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ليحذروا هذا المزلق الذي قد ينتهي بهم إلى حبوط أعمالهم، وهم غير شاعرين ولا عالمين، ليتقوه!

أثر هذا النداء في نفوس الصحابة:

ولقد عمل في نفوسهم ذلك النداء الحبيب، وهذا التحذير المرهوب، عمله العميق الشديد:

قال البخاري: عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا. . أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. رفعا أصواتهما عند النبي - صلى الله عليه وسلم - حين قدم عليه ركب بني تميم "في السنة التاسعة من الهجرة " فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس - رضي الله عنه - أخي بني مجاشع "أي ليؤمره عليهم" وأشار الآخر برجل آخر. قال نافع: لا أحفظ اسمه "في رواية أخرى أن اسمه القعقاع بن معبد" فقال: أبو بكر لعمر - رضي الله عنهما - ما أردت إلا خلافي. فقال: ما أردت خلافك. فارتفعت أصواتهما في ذلك. فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا

---

[1] التحرير و التنوير، (ج١٧/٤٠٩٠)...

﴿تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾

[الحجرات: ٢]. قال ابن الزبير - رضي الله عنه - : فما كان عمر - رضي الله عنه - يسمع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد هذه الآية حتى يستفهمه! (1).

قال العلماء " يكره رفع الصوت عند قبره - صلى الله عليه وسلم - كما كان يكره في حياته - صلى الله عليه وسلم - احترامًا له في كل حال [تفسير ابن كثير (٧/٣٦٨).

وروي عن أبي بكر - رضي الله عنه - أنه قال لما نزلت هذه الآية: قلت: يا رسول الله، والله لا أكلمك إلا كأخي السرار " يعني كالهمس! "(2).

منقبة عظيمة لثابت بن قيس ـ رضي الله عنه ـ:

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسا في بيته، منكسا رأسه، فقال: ما شأنك؟ فقال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي صلى الله عليه وسلم، فقد حبط عمله، وهو من أهل النار. فأتى الرجل

---

(1) (البخاري – الفتح ١٣ (٧٣٠٢).

(2) ذكره في زاد المسير (٧/ ٤٥٧)، وجاء في حاشية تحقيقه: ذكره الواحدي في أسباب النزول (٢٨٨) واللفظ فيه.

فأخبره أنه قال كذا وكذا. فقال موسى بن أنس: فرجع المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: «اذهب إليه، فقل له: إنك لست من أهل النار، ولكن من أهل الجنة»[١].

قال أنس - رضي الله عنه -: فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة. قال النووي: في هذا الحديث: - منقبة عظيمة لثابت بن قيس - رضي الله عنه - وهي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبر أنه من أهل الجنة. - وفيه أنه ينبغي للعالم وكبير القوم أن يتفقد أصحابه ويسأل عمن غاب منهم.

فهكذا ارتعشت قلوبهم وارتجفت تحت وقع ذلك النداء الحبيب، وذلك التحذير الرعيب؛ وهكذا تأدبوا في حضرة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خشية أن تحبط أعمالهم وهم لا يشعرون. ولو كانوا يشعرون لتداركوا أمرهم! ولكن هذا المنزلق الخافي عليهم كان أخوف عليهم، فخافوه واتقوه!

---

[١] صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم الحديث (٣٤١٧).

وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه سمع صوت رجلين في مسجد النبي - صلى الله عليه وسلم - قد ارتفعت أصواتهما، فجاء فقال: من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف. فقال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا! [(١)].

قال ابن القيم - رحمه الله - : إياك أنْ ترد الأمر (أي أمر رسول الله) لأول وهلة لمجرد مخالفته هواك فتعاقب بتقليب القلب عند الموت، لقوله - تعالى -:- {ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون} [الأنعام: ١١٠]

ناظر أبو جعفر الخليفة الإمام مالكا الفقيه العلامة الثقة المحدث، ناظره في المسجد النبوي، أي: ناقشه، فقال مالك للخليفة: «لا ترفع صوتك يا أمير المؤمنين في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾ [الحجرات: ٢] ومدح قوماً فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [الحجرات: ٣] وذم قوماً فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الحجرات: ٤] وإن حُرمته ميتاً كحُرمته حياً»، فاستكان

(١) رواه البخاري (٤٧٠).

لها أبو جعفر، ونزل عند نصيحة الإمام مالك -رحمه الله-[١].

يجب علينا أنْ نتأدب في حضرة أي مجلس للعلم يقرأ فيه أحاديث النبي -ﷺ-؛ فلا نلهو ولا نتمازح ولا نرفع أصواتنا؛ لئلا تحبط أعمالنا ونحن لا نشعر.

ولهذا فإنه ينبغي على الإنسان أن يتأدب مع سنّته وحديثه حين يسمعه أو يقرأه أو يكتبه.

ولله در مالك بن أنس إمام دار الهجرة -رحمه الله-، فلم يكن يحدّث بحديث رسول الله -ﷺ- إلا اغتسل وتبخر وتطيّب وجلس على صدر فراشه وسرّح لحيته وتمكن من جلوسه بوقار وهيبة، ثم يقول: أحبّ أن أعظِّم حديث رسول الله -ﷺ- ولا أُحدِّث به إلا على طهارة وإذا رفع أحد صوته عنده قال: اغضض من صوتك فإن الله عز وجل يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، فمن رفع صوته عند حديث رسول الله -ﷺ- فكأنما رفع صوته فوق صوت رسول الله[٢].

---

(١) الخصائص الكبرى(٢/٤٤٥).

(٢) تهذيب الكمال (١١/١١١)

قال جماعة سليمان بن حرب: سمعت حماد بن زيد يقول: "أرى رفع الصوت عليه بعد موته، كرفع الصوت عليه في حياته، إذا قرئ حديثه وجب عليك أن تنصت له، كما تنصت للقرآن يعمر"(١).

إذا كان جزاء من يرفع صوته فوق صوت النبي - ﷺ - حبوط العمل فما أعظم إثم من يعارض سنّته بعقله ورأيه، وما أسوأ أدب من يتكلم على صحابته والتابعين ممن حملوا إلينا سنته وهديه - ﷺ -.

وكان عبد الرحمن بن مهدي - رحمه الله - : إذا قَرأ حديث رسول الله - ﷺ - أمر الحاضرين بالسكوت؛ فلا يتحدث أحد، ولا يُبرى قلم، ولا يبتسم أحد، كأن على رؤوسهم الطير(٢).

وقد وعى المسلمون هذا الأدب الرفيع، وتجاوزوا به شخص رسول الله - ﷺ - إلى كل أستاذ وعالم. لا يزعجونه حتى يخرج إليهم ؛ ولا يقتحمون عليه حتى يدعوهم. . يحكى عن أبي عبيد - العالم الزاهد الراوية الثقة - أنه قال: "ما دققت بابًا على عالم قط حتى يخرج في وقت خروجه" (٣).

---

(١) سير أعلام النبلاء(١/٧٧).

(٢)قبول الأخبار ومعرفة الرجال.

(٣)في ظلال القرآن،(ج ٦ / ٣٣٤٠)..

٨-مشاققة الرسول - ﷺ -

وهي "مخالفة أوامره"؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

"والمشاقة: المخالفة المقصودة، مشتقة من الشق لأن المخالف كأنه يختار شقا يكون فيه غير شق الآخر.

فيحتمل قوله: من بعد ما تبين له الهدى أن يكون أراد به من بعد ما آمن بالرسول فتكون الآية وعيدا للمرتد"[١].

وقال صاحب الأساس في السنة: "أي: ومن يخالف الرسول من بعد وضوح الدليل، وظهور الرشد ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: ويتبع غير ما عليه المؤمنون من الدين، وهذا دليل على أن الإجماع حجة لا تجوز مخالفتها، كما لا يجوز مخالفة الكتاب والسنة، لأن اللّه تعالى جمع بين اتباع غير سبيل المؤمنين، وبين مشاقة الرسول - ﷺ - في الشرط، وجعل جزاءه الوعيد الشديد، فكان اتباع الإجماع واجبا كموالاة الرسول - ﷺ - ﴿نُوَلِّهِ ما تَوَلَّى﴾ أي: في الدنيا نجعله واليا لما تولى من

---

[١] التحرير والتنوير، ٥/٢٠١.

الضلال، وندعه وما اختاره في الدنيا. ﴿وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ أي: في الآخرة، وَساءَتْ مَصِيرًا. وأي منقلب ومأوى ومستقر شر من النار؟ ! "[١].

أما سيد فقال في هذه الآية: " والمشاقة - لغة - أن يأخذ المرء شقا مقابلا للشق الذي يأخذه الآخر. والذي يشاق الرسول - ﷺ -هو الذي يأخذ له شقا وجانبا وصفا غير الصف والجانب والشق الذي يأخذه النبي - ﷺ - ومعنى هذا أن يتخذ له منهجا للحياة كلها غير منهجه، وأن يختار له طريقا غير طريقه. فالرسول - ﷺ - جاء يحمل من عند اللّه منهجا كاملا للحياة يشتمل على العقيدة والشعائر التعبدية، كما يشتمل على الشريعة والنظام الواقعي لجوانب الحياة البشرية كلها.. وهذه وتلك كلتاهما جسم هذا المنهج، بحيث تزهق روح هذا المنهج إذا شطر جسمه فأخذ منه شق وطرح شق! والذي يشاق الرسول - ﷺ - هو كل من ينكر منهجه جملة، أو يؤمن ببعض ويكفر ببعض، فيأخذ بشق منه ويطرح شقا! وقد اقتضت رحمة اللّه بالناس، ألا يحق عليهم القول، ولا يصلوا جهنم وساءت مصيرا، إلا بعد أن يرسل إليهم رسولا. وبعد أن يبين لهم. وبعد أن يتبينوا الهدى. ثم يختاروا الضلالة. وهي رحمة اللّه الواسعة الحانية على هذا المخلوق الضعيف. فإذا تبين له الهدى. أي إذا علم أن هذا المنهج من عند اللّه. ثم شاق الرسول - ﷺ - فيه، ولم

---

[١] الأساس في التفسير، ٢/١١٨٦.

يتبعه ويطعه، ولم يرض بمنهج اللّه الذي تبين له، فعندئذٍ يكتب اللّه عليه الضلال، ويوليه الوجهة التي تولاها، ويلحقه بالكفار والمشركين الذين توجه إليهم. ويحق عليه العذاب المذكور في الآية.

وقال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٢﴾ [محمد: ٣٢].

إن الذين كفروا باللّه، وارتدوا عن الإسلام وخالفوا الرسول، ووقفوا في وجه الحق أن يبلغ الناس، وصدوا الناس عن الدخول في الإسلام بالقوة وبالمال وبالخداع، وشاقوا الرسول بمحاربته في حياته، وبمحاربة دينه أو شريعته بعد مماته.

إن الذين يقدمون على شيء من ذلك، بعد أن تبين لهم أنه هو الحق، فإنهم لن يضروا اللّه شيئا، لأن اللّه بالغ أمره، وناصر رسوله ومظهر دينه على الدين كله، ولو كره الكافرون، وسيحبط اللّه أعمالهم، فتنتهي إلى الخيبة والدمار.

" إنه قرار من اللّه مؤكد ، ووعدٌ منه واقع: أن الذين كفروا ، ووقفوا في وجه الحق أن يبلغ إلى الناس وصدوا الناس عنه بالقوة أو المال أو الخداع أو أية وسيلة من الوسائل، وشاقوا الرسول - ﷺ - في حياته بإعلان الحرب عليه، والمخالفة عن طريقه، والوقوف في غير صفه. أو بعد وفاته بمحاربة دينه وشريعته ومنهجه والمتبعين لسنته والقائمين على دعوته. وذلك ﴿مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدى﴾.. وعرفوا أنه الحق ولكنهم اتبعوا الهوى، وجمح بهم العناد ، وأعماهم الغرض، وقادتهم المصلحة العاجلة..

"إذا تبين للعبد الهدى. أي إذا علم أن هذا المنهج من عند اللّه. ثم شاق الرسول - ﷺ - فيه، ولم يتبعه ويطعه، ولم يرضَ بمنهج اللّه الذي تبين له، فعندئذٍ يكتب اللّه عليه الضلال، ويوليه الوجهة التي تولاها ، ويلحقه بالكفار والمشركين الذين توجه إليهم. ويحق عليه العذاب [في ظلال القرآن].

قرار من اللّه مؤكد ، ووعد من اللّه واقع أن هؤلاء ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾.. وهم أضأل وأضعف من أن يذكروا في مجال إلحاق ضرر باللّه سبحانه وتعالى. فليس هذا هو المقصود. إنما المقصود أنهم لن يضروا دين اللّه ولا منهجه ولا القائمين على دعوته. ولن يحدثوا حدثا في نواميسه وسننه. مهما بلغ من قوتهم، ومهما قدروا على إيذاء بعض المسلمين فترة من الوقت. فإن هذا بلاء وقتي يقع بإذن اللّه لحكمة يريدها وليست ضرا

حقيقيا لناموس اللّه وسنته ونظامه ونهجه وعباده القائمين على نظامه ونهجه. والعاقبة مقررة: ﴿ وَسَيُحْبِطُ أَعْمالَهُمْ ﴾..

فتنتهي إلى الخيبة والدمار. كما تنتهي الماشية التي ترعى ذلك النبات السام!. "[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [محمد: ٣٢]. فهم كفار كفروا وصدوا عن سبيل اللّه وعاندوا رسول اللّه - ﷺ -، فهو كفر على كفر على كفر، وهؤلاء يحبط اللّه سبحانه وتعالى أعمالهم.

فلن يضروا اللّه شيئًا مهما اجتمعوا على دين اللّه سبحانه، فاللّه يأبى إلا أن يتم نوره ويظهر دينه سبحانه وتعالى وسيحبط أعمال هؤلاء، وكان الكفار يعملون أعمالًا هي في زعمهم أعمال صالحة، كانوا يحجون البيت وكانوا يطعمون الحجيج ويسقونهم وكانوا يفعلون أشياء من البر ومن الصلة ولكنهم يصدون عن سبيل اللّه.

وقيل: المراد بالأعمال في قوله: ﴿ وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ [محمد: ٣٢]. أي: مكائدهم.

إذا: تُحمل الأعمال على أحد معنيين: إما الأعمال التي ظاهرها الخير، مع أنها لا تنفعهم في الآخرة؛ لأنها خلت عن شرط الإيمان. وإما أن المراد

---

(١) في ظلال القرآن: ٦/٣٢٩٩.

بالأعمال: مكرهم وكيدهم ومؤامراتهم.

قوله: ﴿ وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٢ ﴾ [محمد: ٣٢]. أي: المكائد التي نصبوها لإطفاء دين الله، والغوائل التي كانوا يبغونها لرسول الله ﷺ (١).

٩-الكذب على الله:

قال الإمام النووي - رحمه الله -: "وقد تظاهرت نصوص الكتاب والسنة على تحريم الكذب في الجملة، وهو من قبائح الذنوب، وفواحش العيوب، وإجماع الأمة منعقد على تحريمه مع النصوص المتظاهرة"(٢).

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢١ ﴾ [الأنعام: ٢١]

وقال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسۡوَدَّةٌۚ ﴾ الآية: [الزمر: ٦٠].

وهذا النوع من الكذب يبطل ويحبط العمل، لأدلة كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤٧ ﴾ [الأعراف: ١٤٧]

---

(١) تفسير القران العظيم، محمد المقدم، الشاملة.

(٢) الأذكار: ص ٣٩٥.

يقول الزحيلي: " مجمل حال هؤلاء المتكبرين أن اللّه لم يخلقهم مطبوعين على الكفر والضلال، ولم يجبرهم عليه، بل حدث ذلك باختيارهم إذ أنهم كذبوا بالآيات، وانغمسوا بأهوائهم وشهواتهم في بؤر الضلال والانحراف، وحجبوا أفهامهم عن إدراك الحق والهدى وسلوك سبيل السعادة والنجاة، فهم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩]

ثم أوضح اللّه تعالى مآل ما قد يعملونه من أعمال خيرة في الدنيا: وهو إحباطها وإبطالها وتلاشي آثارها، وعدم ترتيب الثواب عليها، فقال: والذين كذبوا بآياتنا المنزلة على رسلنا، ولم يؤمنوا بها، ولم يصدقوا بالآخرة والبعث وما فيه من جزاء على الأعمال ثوابا على الخير وعقابا على الشر، واستمروا على وضعهم هذا إلى الممات، بطلت أعمالهم، وذهبت سدى "(١).

ويقول صاحب الظلال في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ﴾ [الأعراف: ١٤٧] "وحبوط الأعمال مأخوذ من

---

(١) التفسير المنير للزحيلي: ٩/٩٢.

قولهم: حبطت الناقة.. إذا رعت نباتا ساما، فانتفخ بطنها ثم نفقت.. وهو وصف ملحوظ فيه طبيعة الباطل الذي يصدر من المكذبين بآيات اللّه ولقاء الآخرة. فهو ينتفخ حتى يظنه الناس من عظمة وقوة! ثم ينفق كما تنفق الناقة التي رعت ذلك النبات السام! وإنه لجزاء كذلك حق أن تحبط وتهلك أعمال الذين كذبوا بآيات اللّه ولقاء الآخرة.. ولكن كيف تحبط هذه الأعمال؟

من ناحية الاعتقاد.. نحن نؤمن بصدق وعيد اللّه لا محالة أيا كانت الظواهر التي تخالف هذه العاقبة المحتومة. فحيثما كذب أحد بآيات اللّه ولقائه في الآخرة حبط عمله وبطل، وهلك في النهاية وذهب كأن لم يكن..

ومن ناحية النظر.. نحن نجد السبب واضحا في حياة البشر.. إن الذي يكذب بآيات اللّه المبثوثة في صفحات هذا الكون المنشور، أو آياته المصاحبة للرسالات، أو التي يحملها الرسل ويكذب تبعا لهذا بلقاء اللّه في اليوم الآخر.. إن هذا الكائن المسيخ روح ضالة شاردة عن طبيعة هذا الكون المؤمن المسلم ونواميسه.. لا تربطه بهذا الكون رابطة. وهو منقطع عن دوافع الحركة الصادقة الموصولة بغاية الوجود واتجاهه. وكل عمل يصدر عن مثل هذا المسخ المقطوع هو عمل حابط ضائع، ولو بدا أنه قائم وناجح. لأنه لا ينبعث عن البواعث الأصيلة العميقة في بنية هذا الوجود ولا يتجه إلى الغاية الكبيرة التي يتجه إليها الكون كله.

شأنه شأن الجدول الذي ينقطع عن النبع الأول، فمآله إلى الجفاف والضياع في يوم قريب أو بعيد! والذين لا يرون العلاقة الوثيقة بين تلك القيم الإيمانية وحركة التاريخ الإنساني والذين يغفلون عن قدر اللّه الذي يجري بعاقبة الذين يتنكرون لهذه القيم. . هؤلاء إنما هم الغافلون الذين أعلن اللّه - سبحانه - عن مشيئته في أمرهم، بصرفهم عن رؤية آياته، وتدبر سننه. . وقدر اللّه يتربص بهم وهم عنه غافلون. .

والذين يخدعهم ما يرونه في الأمد القصير المحدود، من فلاح بعض الذين يغفلون عن تلك القيم الإيمانية ونجاحهم إنما يخدعهم الانتفاخ الذي يصيب الدابة وقد رعت النبت السام فيحسبونه شحما وسمنة وعافية وصحة. . والهلاك يترصدها بعد الانتفاخ والحبوط! والأمم التي خلت شاهد واقع. ولكن الذين سكنوا مساكنهم من بعدهم، لا يأخذون منهم عبرة، ولا يرون سنة اللّه التي تعمل ولا تتخلف وقدر اللّه الذي يجري ولا يتوقف. . واللّه من ورائهم محيط "[1].

والحاصل: أن نسبة الكذب إلى اللّه ورسوله ﷺ، هو من أمور أهل الجاهلية، فعلى المسلم أن يحذر من هذا العمل الخبيث، وقد لا يكذب هو على اللّه، لكن لا يتحرّى في نقل الأمور عن اللّه وعن رسوله، والفتاوى لا يتحرّى فيها، فإذا كان ما نقله خطأ، وهو لم يتثبت فيه،

---

(١) في ظلال القرآن، ٣/١٣٧٣.

ونشره على الناس، فإنه يصير أحد الكاذبين، ويصير قد ضَرَّ الناس بهذا الشيء الذي نقله لهم ونشره بينهم[١].

١٠- الردة:

تعريف الردة:

الردة في اللغة:

صرف الشيء بذاته، أو بحالة من أحواله، يقال: رددته فارتد، ويقال: رده: أي صرفه. ورد الشيء عليه: لم يقبله منه.

والارتداد والردة:

الرجوع في الطريق الذي جاء منه لكن الردة تخص بالكفر، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]أي: لا ترجعوا.

والردة اسم من الارتداد، وهو التحول والرجوع عن الشيء إلى غيره، ومنه الرجوع عن الإسلام.

(١) شرح (مسائل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب)، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان: ١٩٠

والمرتد أي: الراجع، وهو الذي رجع عن دينه، وكفر بعد إسلامه. [١]

الردة في الاصطلاح:

هي الكفر بعد الإسلام طوعا؛ إما باعتقاد، أو بفعل، أو بقول، أو شك.

و "هي قطع الإسلام بنية كفر، أو قول كفر، أو فعل مكفر؛ سواء قاله: استهزاء، أو عنادًا، أو اعتقادًا" [٢].

وقال النبي -ﷺ-: «من بدل دينه فاقتلوه» [٣].

- وعرفها - محمَّد بن أحمد الخطيب الشربينيّ (الشافعيّ). ت: ٩٧٧هـ - في - كتاب (الرِّدَّة): أعاذنا اللّه تعالى منها (هي) لغةً: الرُّجوع عن الشيء إلى غيره، وهي أفحشُ الكفر وأغلظُه حكمًا، محبطةٌ للعمل. وشرعًا (قطع) استمرار (الإسلام) ودوامه، ويحصل قطعه بأمور: (بنيَّةِ) كفرٍ (أو) قطع الإسلام بسبب (قولِ كفرٍ أو فعلٍ) مُكَفِّرٍ ثم قسم القول ثلاثة أقسام بقوله: (سواء قاله استهزاء أو عنادًا أو اعتقادًا)

---

(١) انظر معاجم اللغة: ((لسان العرب)): (ج ٣، ص ١٧٢) و ((المفردات في غريب القرآن)) (ص ١٩١). و ((النهاية في غريب الحديث)) (ج٢، ص ٢١٤).

(٢) ((كتاب الردة)) (ج ٤، ص ١٧٤)

(٣) رواه البخاري (٣٠١٧). من حديث ابن عباس رضي الله عنهما

لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٥٦٠ - ٦٦] وكان الأَوْلى تأخيرُ القول في كلامه عن الفعل، لأَنَّ التَّقسيم فيه وخرج بذلك من سبق لسانُه إلى الكفر، أو أُكْرِه عليه، فإنَّه لا يكون مرتدا (والفعل المكفِّر ما تعمَّده) صاحبه (استهزاء صريحاً بالدِّين أو جحودًا له كإلقاء مصحف) (وسجودٌ لصنمٍ) [١].

وعرفها - زين الدِّين بن عبد العزيز المليباري (الشافعي). ت: ٩٨٧هـ

(الرِّدَّة لغةً: الرُّجوع وهي أفحش أنواع الكفر ويحبط بها العمل وشرعًا (قطعُ مكلَّف) مختار فتلغو من صبي ومجنون ومكره عليها إذا كان قلبه مؤمنًا (إسلامًا بكفرٍ عزمًا) حالًا أو مآلًا فيكفر به حالًا (أو قولًا أو فعلًا، باعتقادٍ) لذلك الفعل أو القول أي معه (أو) مع (عنادٍ) من القائل أو الفاعل (أو) مع (استهزاءٍ) أي استخفافٍ، بخلاف ما لو اقترن به ما يخرِجُه عن الرِّدَّة كسبق لسانٍ أو حكاية كفرٍ أو خوف)[٢] .

- وعرفها - محمَّد عبد الرؤوف المناوي (الشافعي). ت: ١٠٣١هـ

(الرِّدَّة لغةً: الرُّجوع عن الشَّيء إلى غيره. وشرعًا قطع الإسلام بنيَّةٍ أو

---

[١] ((مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج)) (٦/ ٤٢٧) .

[٢] ((فتح المعين بشرح قرة العين بمهمَّات الدِّين: ٥٧٠ .

قولٍ أو فعلٍ مُكَفِّر " [(١)].

والردة تُحبط العمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾ [البقرة: ٢١٧]

قال القرطبي - رحمه الله -: " استظهر علماؤنا بقوله تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٦٥﴾ [الزمر: ٦٥]:

قالوا: وهو خطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - والمراد أمته؛ لأنه - عليه السلام - يستحيل منه الردة شرعًا.

و قال أصحاب الشافعي: بل هو خطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - على طريق التغليظ على الأمة، وبيان أن النبي - صلى الله عليه وسلم - على شرف منزلته لو أشرك لحبط عمله؛ فكيف أنتم! لكنه لا يشرك لفضل مرتبته.

وقال علماؤنا: إنما ذكر اللّه الموافاة شرطًا ها هنا لأنه علق عليها الخلود في النار جزاء؛ فمن وافى على الكفر خلده اللّه في النار بهذه الآية، ومن أشرك حبط عمله بالآية الأخرى.

---

(١) ((التوقيف على مهمّات التعاريف)) (ص ١٧٦).

فهما آيتان مفيدتان لمعنيين، وحكمين متغايرين. وما خوطب به - عليه السلام - فهو لأمته حتى يثبت اختصاصه[١].

و قال السعدي - رحمه الله -: " دلت الآية بمفهومها، أن من ارتد ثم عاد إلى الإسلام، أنه يرجع إليه عمله و كذلك من تاب من المعاصي، فإنها تعود إليه أعماله المتقدمة "[٢].

قال ابن عاشور - رحمه الله -: " والمقصد منه التحذير، لأنه لما ذكر حرص المشركين على رد المسلمين عن الإسلام وعقبه باستبعاد أن يصدر ذلك من المسلمين، أعقبه بالتحذير منه، وجيء بصيغة يرتدد وهي صيغة مطاوعة إشارة إلى أن رجوعهم عن الإسلام إن قدر حصوله لا يكون إلا عن محاولة من المشركين فإن من ذاق حلاوة الإيمان لا يسهل عليه رجوعه عنه ومن عرف الحق لا يرجع عنه إلا بعناء" [٣].

" ومن يرتدد عن الإسلام وقد ذاقه وعرفه ؛ تحت مطارق الأذى والفتنة - مهما بلغت - هذا مصيره الذي قرره اللّه له.. حبوط العمل في الدنيا والآخرة. ثم ملازمة العذاب في النار خلوداً.

---

[١] الجامع لأحكام القرآن:٣/٤٨.

[٢] تفسير السعدي،(ص١٠٦).

[٣] التحرير و التنوير، الطاهر ابن عاشور،(ج٣/٦٠٣)..

وهذا التحذير من الله قائم إلى آخر الزمان. . ليس لمسلم عذر في أن يخنع للعذاب والفتنة فيترك دينه ويقينه، ويرتد عن إيمانه وإسلامه، ويرجع عن الحق الذي ذاقه وعرفه. . وهناك المجاهدة والمجالدة والصبر والثبات حتى يأذن الله. والله لا يترك عباده الذين يؤمنون به ، ويصبرون على الأذى في سبيله. فهو معوضهم خيرًا: إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة"[1].

"إذا تبين للعبد الهدى. أي إن القلب الذي يذوق الإسلام ويعرفه، لا يمكن أن يرتد عنه ارتدادًا حقيقيا أبدًا. إلا إذا فسد فسادًا لا صلاح له. وهذا أمر غير التقية من الأذى البالغ الذي يتجاوز الطاقة. فالله رحيم. رخص للمسلم - حين يتجاوز العذاب طاقته - أن يقي نفسه بالتظاهر، مع بقاء قلبه ثابتا على الإسلام مطمئنا بالإيمان.

١١- قتل النبيين و الذين يأمرون الناس بالقسط:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٢ ﴾ [آل عمران: ٢٢].

---

(١) في ظلال القرآن، (ج١/ ٢٢٢)..

قال الطبري - رحمه الله -: " أي يجحدون حجج اللّه وأعلامه فيكذّبون بها. وأما قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقّ﴾، فإنه يعني بذلك أنهم كانوا يقتلون رسل اللّه الذين كانوا يرسلون إليهم بالنهي عما يأتون من معاصي اللّه، وركوب ما كانوا يركبونه من الأمور التي قد تقدم اللّه إليهم في كتبهم بالزجر عنها، نحو زكريا وابنه يحيى وما أشبههما من أنبياء اللّه.

عن أبي عبيدة بن الجرّاح، قال: قلت يا رسول اللّه، أيّ الناس أشدّ عذابا يوم القيامة؟ قال: «رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيّا، أَوْ رَجُلٌ أمَرَ بالمُنْكَرِ ونَهَى عَنِ المَعْرُوفِ». ثم قرأ رسول اللّه ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ . . . إلى أن انتهى إلى: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٢﴾ صدق الله ثم قال رسول اللّه ﷺ: «يا أبا عُبَيْدَةَ قَتَلَتْ بَنُو إسْرَائِيلَ ثَلاثَةً وأرْبَعِينَ نَبِيّا مِنْ أوّلِ النّهارِ فِي سَاعَةٍ واحِدَةً، فَقامَ مِائَةُ رَجُلٍ واثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْ عُبّادِ بَنِي إسْرَائِيلَ، فأمَرُوا مَنْ قَتَلَهُمْ بالمَعْرُوفِ ونَهَوْهُمْ عَنِ المُنْكَرِ فَقَتِلُوا جَمِيعا مِنْ آخِرِ النّهَارِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، وهُمُ الّذِينَ ذَكَرَ اللّهُ ﷻ» [1].

---

[1] تفسير الطبري،(ج٣/٢١٦)..

وأما قوله: "﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ ﴾

فأما قوله: "فِي الدّنْيَا": فلم ينالوا بها محمدة ولا ثناء من الناس، لأنهم كانوا على ضلال وباطل، ولم يرفع الله لهم بها ذكرا، بل لعنهم وهتك أستارهم، وأبدى ما كانوا يخفون من قبائح أعمالهم على ألسن أنبيائه ورسله في كتبه التي أنزلها عليهم، فأبقى لهم ما بقيت الدنيا مذمة، فذلك حبوطها في الدنيا.

وأما في الآخرة: فإنه أعدّ لهم فيها من العقاب ما وصف في كتابه، وأعلم عباده أن أعمالهم تصير بورا لا ثواب لها، لأنها كانت كفرا بالله، فجزاء أهلها الخلود في الجحيم"[١].

" فهذا هو المصير المحتوم: عذابٌ أليم. لا يحدده بالدنيا أو بالآخرة. فهو متوقع هنا وهناك. وبطلان لأعمالهم في الدنيا والآخرة في تعبير مصور. . وهكذا أعمال هؤلاء قد تنتفخ وتتضخم في الأعين. ولكنه الانتفاخ المؤدي إلى البطلان والهلاك! حيث لا ينصرهم ناصر ولا يدفع عنهم حام! وذكر الكفر بآيات الله مصحوبا بقتل النبيين بغير حق - وما يمكن أن يقتل نبي ثم يكون هناك حق - وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس - أي الذين يأمرون باتباع منهج الله القائم بالقسط المحقق وحده

---

(١) تفسير الطبري، (ج٣/٢١٧)..

للقسط. .

ذكر هذه الصفات يوحي بأن التهديد كان موجها لليهود ، فهذه سمتهم في تاريخهم يعرفون بها متى ذكرت! ولكن هذا لا يمنع أن يكون الكلام موجها للنصارى كذلك. فقد كانوا حتى ذلك التاريخ قتلوا الألوف من أصحاب المذاهب المخالفة الدولة الرومانية المسيحية - بما فيهم من جاهروا بتوحيد اللّه تعالى وبشرية المسيح عليه السلام - وهؤلاء ممن يأمرون بالقسط. . كما أنه تهديد دائم لكل من يقع منه مثل هذا الصنيع البشع. . وكثير ما هم في كل زمان. .

ويحسن أن نتذكر دائما ماذا يعني القرآن بوصف «الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ». . فليس المقصود فقط من يعلن كلمة الكفر. إنما يدخل في مدلول هذا الوصف من لا يقر بوحدة الألوهية ، وقصر العبودية عليها. وهذا يتضمن بصراحة وحدة الجهة التي تصرّف حياة العباد بالتشريع والتوجيه والقيم والموازين. . فمن جعل لغير اللّه شيئا من هذا ابتداء فهو مشرك به أو كافر بألوهيته. ولو قالها ألف مرة باللسان! .[1] .

ويدخل هذا التهديد الذين يقتلون الدعاة إلى اللّه والعلماء الربانيين؛ فهم الذين يأمرون الناس بالقس.

١٢-التكذيب بآيات الله و لقاء الآخرة:

---

(١) في ظلال القرآن،(ج١/ ٣٧٥-٣٧٦)..

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾[الأعراف: ١٤٧].

" وإن الإنسان ليصادف هذا الصنف من الخلق بوصفه هذا وسمته وملامحه، فيرى كأنما يتجنب الرشد ويتبع الغي دون جهد منه، ودون تفكير ولا تدبير! فهو يعمى عن طريق الرشد ويتجنبه، وينشرح لطريق الغي ويتبعه! وهو في الوقت ذاته مصروف عن آيات الله لا يراها ولا يتدبرها ولا تلتقط أجهزته إيحاءاتها وإيقاعاتها! وسبحان الله! فمن خلال اللمسات السريعة في العبارة القرآنية العجيبة ينتفض هذا النموذج من الخلق شاخصًا بارزًا حتى ليكاد القارئ يصيح لتوه: نعم. نعم. أعرف هذا الصنف من الخلق.. إنه فلان! ! ! وإنه للمعنيّ الموصوف بهذه الكلمات! ! !

وما يظلم الله هذا الصنف من الخلق بهذا الجزاء المردي المؤدي إلى الهلاك في الدنيا والآخرة.. إنما هو الجزاء الحق لمن يكذب بآيات الله ويغفل عنها، ويتكبر في الأرض بغير الحق، ويتجنب سبيل الرشد حيثما رآه، ويهرع إلى سبيل الغي حيثما لاح له! فإنما بعمله جوزي؛ وبسلوكه أورد موارد الهلاك" [1].

---

(١) المرجع السابق:(ج٣/ ١٣٧٢)..

﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٧]

والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة، أي: ولقاء الدار الآخرة التي هي موعد الثواب والعقاب، حبطت أعمالهم، بطلت وصارت كأن لم تكن، هل يجزون في العقبى إلا ما كانوا، أي: إلا جزاء ما كانوا يعملون في الدنيا[1].

١٣-إرادة الحياة الدنيا و زينتها:

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود: ١٦ -١٧].

قال ابن كثير - رحمه الله -: "عن ابن عباس في هذه الآية: "إن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا وذلك أنهم لا يظلمون نقيرًا" يقول: من عمل صالحًا التماس الدنيا صومًا أو صلاة أو تهجدًا بالليل لا يعمله إلا التماس الدنيا يقول الله تعالى: أوفيه الذي التمس في الدنيا من المثابة وحبط عمله الذي كان يعمله لالتماس الدنيا وهو في الآخرة من

---

(١) تفسير البغوي: ٢/٢٣٤.

الخاسرين".

و قال مجاهد وغيره: " نزلت في أهل الرياء، وقال قتادة: من كانت الدنيا همه ونيته وطلبته جازاه اللّه بحسناته في الدنيا ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطَى بها جزاء وأما المؤمن فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة"[١].

و عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال: رسول اللّه - صلى الله عليه وسلم - «إن اللّه لا يظلم مؤمنا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها للّه في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها» [٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم،(ج٢/ ٤٥٥)..

(٢) صحيح مسلم، باب: جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا والآخرة وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا،(ج١/٩٧)،رقم (٢٨٠٨)..

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أيضًا أنه حدث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

«إن الكافر إذا عمل حسنةً أُطعم بها طعمة من الدنيا وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقا في الدنيا على طاعته»[١].

" من عمل عملًا صالحا في غير تقوى يعني من أهل الشرك أعطي على ذلك أجرًا في الدنيا يصل رحمًا، يعطي سائلًا، يرحم مضطرًا في نحو هذا من أعمال البرّ يعجل الله له ثواب عمله في الدنيا، ويوسع عليه في المعيشة والرزق، ويقرّ عينه فيما خوّله، ويدفع عنه من مكاره الدنيا في نحو هذا، وليس له في الآخرة من نصيب" [تفسير الطبري، ج٧/١٤].

" إن للجهد في هذه الأرض ثمرته. سواءً تطلع صاحبه إلى أُفق أعلى أو توجه به إلى منافعه القريبة وذاته المحدودة. فمن كان يريد الحياة الدنيا وزينتها فعمل لها وحدها، فإنه يلقى نتيجة عمله في هذه الدنيا؛ ويتمتع بها كما يريد - في أجل محدود - ولكن ليس له في الآخرة إلا النار، لأنه لم يقدم للآخرة شيئًا، ولم يحسب لها حسابًا، فكل عمل الدنيا يلقاه في الدنيا. ولكنه باطل في الآخرة لا يقام له فيها وزن ونحن نشهد في هذه الأرض أفرادًا اليوم وشعوبًا وأممًا تعمل لهذه الدنيا، وتنال جزاءها فيه، زينة، ولدنياها انتفاخ! فلا يجوز أن نعجب ولا أن

---

(١) صحيح مسلم، (ج١/٩٨)..

نسأل: لماذا ؟ لأن هذه هي سنة اللّه في هذه الأرض: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [هود: ١٥]

ولكن التسليم بهذه السنة ونتائجها لا يجوز أن ينسينا أن هؤلاء كان يمكن أن يعملوا نفس ما عملوه - ونفوسهم تتطلع للآخرة وتراقب اللّه في الكسب والمتاع - فينالوا زينة الحياة الدنيا لا يبخسون منها شيئًا، وينالوا كذلك متاع الحياة الأخرى".

" إن العمل للحياة الأخرى لا يقف في سبيل العمل للحياة الدنيا. بل إنه هو هو مع الاتجاه إلى اللّه فيه. ومراقبة اللّه في العمل لا تقلل من مقداره ولا تنقص من آثاره؛ بل تزيد وتبارك الجهد والثمر، وتجعل الكسب طيبًا والمتاع به طيبًا، ثم تضيف إلى متاع الدنيا متاع الآخرة. إلا أن يكون الغرض من متاع الدنيا هو الشهوات الحرام. وهذه مردية لا في الأخرى فحسب، بل كذلك في الدنيا ولو بعد حين. وهي ظاهرة في حياة الأمم وفي حياة الأفراد. وعبر التاريخ شاهدة على مصير كل أمة اتبعت الشهوات على مدار القرون"[١].

---

[١] في ظلال القرآن، (ج٤ / ١٨٦٣)..

١٤-الزنا واللواط:

الزنا من أعظم الفواحش التي حرّمها الله تعالى في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه الكريم صلوات ربي وسلامه عليه، . قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢]

واللواط أشد وأنكى من الزنا؛ حيث أنه يزيد عن الزنا في أنه منافٍ للطبيعة البشرية.

ومما يدل على أن اللواط أعظم شناعة من الزنا -وكلاهما شنيع- إنه تعالى قال في الزنا: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢].

وقال في اللواط: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٠].

وكليهما يحبطان العمل الصالح، ويأكلان حسنات فاعليهم، وقد ورد ذلك الحكم في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة.

١٥-الزنا بامرأة المجاهد:

عن بُرَيْدةَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: « حُرمة نساء

المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم، وما من رجل من القاعدين يخلف رجلا من المجاهدين في أهله فيخونه فيهم، إلا وقف له يوم القيامة، فيأخذ من عمله ما شاء، فما ظنكم » [١].

وفي رواية له أيضًا: فخذ من حسناته ما شئت ».

يقول النووي رحمه الله عند شرحه لهذين الحديثين الشريفين: (قوله في الذى يخون المجاهد في أهله: أنه يأخذ من حسناته يوم القيامة ما شاء فما ظنكم؟ يعنى لما ترون في رغبته في أخذ حسناته والاستكثار منها في ذلك المقام، أي أنه لا يبقى له شيئًا منها إن أمكنه ذلك وأبيح له" [٢].

«حُرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحُرمة أمهاتهم» أي أمهات القاعدين خص نساء المجاهدين لما كان الحديث مسوقا لبيان فضيلة خلافة القاعد للمجاهد في أهله لقضاء حوائجهم والنفع لهم وكان فيه ضرورة الدخول إلى منازلهم سد ذريعة الحرام بتخصيص هذا الحكم بهن وإلا فكل أجنبية محرمة كحرمة الأم وفي التسمية بالأم إشارة إلى إنه ينبغي من القاعدين البر بنساء المجاهدين والنفع وقضاء الحوائج والإحسان. «وما من رجل من القاعدين» عن الجهاد. «يخلف رجلًا من

---

(١) مسلم: (٣/ ١٥٠٨) (٣٣) كتاب الإمارة (٣٩) باب حرمة نساء المجاهدين – رقم (١٣٩).

(٢) شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمى إكمال المعلم بفوائد مسلم: ٦/٣١٩.

المجاهدين) الذين خرجوا إلى الجهاد. «في أهله فيخونه فيهم إلا وقف له يوم القيامة» أي وقفه الله بأمر الملائكة بإيقاف المجاهد ليخاطب من خانه. «فقيل له» أي للمجاهد. «قد خلفك في أهلك» أي بسوء. «فخذ من حسناته ما شئت، فيأخذ من عمله ما شاء» فيه أنها يطلق له حسنات من خانه ليأخذها كيف شاء. «فما ظنكم؟ »استفهام لتعظيم شأن ذلك، كأنه يقول: فما ظنكم من أحله الله هذه المنزلة ومكنه من حسنات من خانه وأخبره على رؤوس الأشهاد أنه قد خانه في أهله، والمراد: فما تظنون في ارتكاب هذه الجريمة العظيمة هل تتركون معها أو ينتقم منكم الذي خان في أهله[1]؟

١٦-شرب الخمر:

وهو المسكر من كل شراب أيًا كان نوعه[2].

---

(١)التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِعِ الصَّغِيرِ: ٥/ ٣٤٤.

(٢)منهاج المسلم:٢٦٩.

قــال تعــالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾ [المائــدة: ٩٠]

" شرب الخمر يؤدي إلى حبوط عمل شاربها الصالح، المتمثل في الصلاة، ومعلوم من الدين بالضرورة أن الصلاة عمود الدين، إن صلحت صلح سائر عمل الإنسان، وإن فسدت فسد عمله كله، فاذا أفسد شرب الخمر الصلاة، وأحبط أجرها، فإن معنى ذلك انه أبطل سائر أعماله.

فصــارت الخمــر بهــذه الآيــة حرامًــا لا مجــال فيهــا للتأويــل، حتــى صــار بعضــهم يقــول: مــا حــرم اللّٰه شــيئا أشــد مــن الخمــر[١].

وشــرب الخمــر يــؤدي إلى حبــوط عمل شــاربها الصـــالح، المتمثــل في الصـــلاة، ومعلــوم مــن الــدين بالضــرورة أن الصــلاة عمود الدين، إن صلحت صلح سـائر عمل الإنسان، وإن فسدت فسد عمله كله، فاذا أفسد شـرب الخمـر الصـلاة، وأحبط أجرها، فإن معنى ذلـك انـه أبطـل سـائر أعمالـه، وقـد ورد في ذلـك عدد من الأحاديث الصحيحة منها:

عـن عبـد اللّٰه بـن عمـرو بـن العـاص -رضي الله عنه- قـال سمعت رسـول اللّٰه -ﷺ- يقول: «من شرب الخمر شربة لم تقبل له توبة أربعين صباحا، فإن

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٦/ ٢٧١.

تاب تاب اللّه عليه، فإن عاد لم تقبل توبته أربعين صباحا، فإن تاب تاب اللّه عليه، فإن عاد كان حقا على اللّه أن يسقيه من طينة الخبال يوم القيامة»[١].

ومعنى ذلك إن لم يتب يكون قد أحبط أجر صلاة مائة وعشرين يوما، سيأتي عليه يوم يكون فيه أحوج ما يكون إلى حسنة واحدة، وأجر ركعة واحدة فما بالك بضياع أجر ستمائة صلاة، حينها تكون الحسرة والندامة في وقت لا تجدي فيه شيئا.

ومن شرب الخمر حبط عمله، وليس ذلك فحسب، فإن مات ولم يتب منها حَرُمت عليه في الآخرة، فقد روى ابْنِ عُمَرَ - رضي الله عنهما - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ -قَالَ: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَشْرَبْهَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَنْ يَتُوبَ»[٢]، وفي رواية عند البخاري أن النبي - ﷺ -قال: «مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا حُرِمَهَا فِي الْآخِرَةِ».

قال الإمام النووي - رحمه الله -: "معناه: أنه يُحرم شربها في الجنة وإن دخلها، فإنها من فاخر شراب الجنة فيمنعها هذا العاصي بشربها في الدنيا، قيل: إنه ينسى شهوتها لأن الجنة فيها كل ما يشتهي، وقيل: لا

---

(١) رواه النسائي (٨/ ٣١٧).

(٢) صحيح مسلم ح (٢٠٠٣).

يشتهيها وإن ذكرها ، ويكون هذا نقص نعيم في حقه تمييزا بينه وبين تارك شربها"(١).

١٧-القذف:

وهو الرمي بالزنا(٢).

يقول الإمام الذهبي - رحمه الله - "القذف هو أن يقول شخص عن امرأة أو فتاة محصنة عفيفة أنها زنت، أو نحو ذلك (٣).

والقذف يحبط العمل ويبطله، حيث أنه يأكل حسنات القاذف، وينقلها إلى المقذوف، فان لم يكن له حسنات نقلت من سيئات المقذوف إلى سيئات القاذف حتى يقضي ما عليه -والعياذ بالله ويؤكد ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين سأل أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين: « أتدرون من المفلس؟ » قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: . . . . . «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة؛ ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته،

---

(١) الكوكب الوهاج: (٢١/٩٣)

(٢) فتح القدير للشوكاني، ٤/١٠.

(٣) الكبائر للذهبي، ص٢١.

فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» [(١)].

القذف يحبط العمل ويبطله، حيث أنه يأكل حسنات القاذف، وينقلها إلى المقذوف، فإن لم يكن له حسنات نقلت من سيئات المقذوف إلى سيئات القاذف حتى يقضي ما عليه -والعياذ بالله

يقول الإمام النووي في شرحه لهذا الحديث الشريف: "حقيقة المفلس هذا المذكور في الحديث فهو الهالك الهلاك التام والمعدوم الإعدام المقطع فتؤخذ حسناته لغرمائه فإذا فرغت حسناته أخذ من سيئاتهم فوضع عليه ثم ألقي في النار فتمت خسارته وهلاكه وإفلاسه" [(٢)].

وجاء في قول لاحد السلف : «**قذف محصنة يهدم عمل سنة**».

١٨-ترك صلاة العصر:

عن أبي المليح قال: كنا مع بريدة في غزوة، في يوم ذي غيم، فقال: بكروا بصلاة العصر فإن النبي -ﷺ- قال: «من ترك صلاة العصر

(١) صحيح مسلم ح (٢٥٨١).

(٢)صحيح مسلم بشرح النووي:١٦/١٤١.

فقد حبط عمله»[١].

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «من ترك صلاة العصر متعمدًا فقد حبط عمله»[٢].

قال ابن حجر في الفتح: " وأما الجمهور فتأولوا الحديث فافترقوا في تأويله فرقًا:

- فمنهم من أَوَّل سبب الترك.

- ومنهم من أوَّل الحبط.

- ومنهم من أوَّل العمل.

أولًا: **تأويل الترك**: فقيل المراد من تركها جاحدًا لوجوبها أو معترفًا لكن مستخفًا مستهزئًا بمن أقامها وتعقب بأن الذي فهمه الصحابي إنما هو التفريط ولهذا أمر بالمبادرة إليها وفهمه أولى من فهم غيره.

ثانيًا: **تأويل الحبط**: وقيل المراد من تركها متكاسلًا لكن خرج الوعيد مخرج الزجر الشديد وظاهره غير مراد كقوله لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن وقيل هو من مجاز التشبيه كأن المعنى فقد أشبه

---

[١] صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب: إثم من ترك العصر، رقم الحديث(٥٢٨).

[٢] صحيح الترغيب والترهيب، الألباني،(ج١/٨٩). رواه أحمد بإسناد صحيح

من حبط عمله وقيل معناه كاد أن يحبط.

ثالثًا: **تأويل العمل**: وقيل المراد بالحبط نقصان العمل في ذلك الوقت الذي ترفع فيه الأعمال إلى اللّٰه فكأن المراد بالعمل الصلاة خاصة أي لا يحصل على أجر من صلى العصر ولا يرتفع له عملها حينئذ وقيل المراد بالحبط الإبطال أي يبطل انتفاعه بعمله في وقت ما ثم ينتفع به كمن رجحت سيئاته على حسناته فإنه موقوف على المشيئة فإن غفر له فمجرد الوقف إبطال لنفع الحسنة إذ ذاك وإن عذب ثم غفر له.

وقد شرح الترمذي الحبط على قسمين:

القسم الأول: حبط إسقاط وهو إحباط الكفر للإيمان وجميع الحسنات.

القسم الثاني: وحبط موازنة وهو إحباط المعاصي للانتفاع بالحسنات عند رجحانها عليها إلا أن تحصل النجاة فيرجع إليه جزاء حسناته.

وقيل المراد بالعمل في الحديث عمل الدنيا الذي يسبب الاشتغال به ترك الصلاة بمعنى أنه لا ينتفع به ولا يتمتع.

قال ابن حجر: " وأقرب هذه التأويلات قول من قال: "إن ذلك خرج

مخرج الزجر الشديد وظاهره غير مراد والله أعلم"[١] .

لماذا خصّ صلاة العصر:

قال النووي: " وإنما خصها بالذكر لأنها تأتي وقت تعب الناس من مقاساة أعمالهم وحرصهم على قضاء أشغالهم وتسويفهم بها إلى انقضاء وظائفهم"[٢] .

و قال ابن تيمية - رحمه الله - في الفتاوى: " وحبوط العمل لا يتوعد به إلا على ما هو من أعظم الكبائر، وكذلك تفويت العصر أعظم من تفويت غيرها:

- فإنها الصلاة الوسطى المخصوصة بالأمر بالمحافظة عليها.

- وهي التي فرضت على من كان قبلنا فضيعوها، فمن حافظ عليها، فله الأجر مرتين.

- وهي التي لما فاتت سليمان - رضي الله عنه - فعل بالخيل ما فعل.

وفي الصحيح عن النبي -ﷺ- أنه قال: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتِرَ أهله وماله ». والموتور أهله وماله يبقى مسلوبًا ليس له ما

---

(١)فتح الباري (٣٣/٢).

(٢)المنهاج شرح صحيح مسلم(١٢٦/٥).

ينتفع به من الأهل والمال، وهو بمنزلة الذي حبط عمله"[١] .

ثانيًا: المُفرِط في جمع الدنيا المانع من إخراجها في وجهها،

عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قام على المنبر، فقال: «إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض». ثم ذكر زهرة الدنيا، فقال: وإن هذا المال خضرة حلوة، ونعم صاحب المسلم لمن أخذه بحقه فجعله في سبيل الله واليتامى والمساكين، ومن لم يأخذه بحقه فهو كالآكل الذي لا يشبع، ويكون عليه شهيدا يوم القيامة»[٢] .

١٩-التألي على الله:

عن جندب - رضي الله عنه - قال: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حدث "أن رجلًا قال: والله! لا يغفر الله لفلان. وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى(معنى يتألى: يحلف والآلية اليمين.)علي أن أغفر لفلان. فإني قد غفرت لفلان. وأحبطت عملك" أو كما قال[٣] .

---

(١)الفتاوى الكبرى(٢/٣٤).

(٢)صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: فضل النفقة في سبيل الله، رقم الحديث، (٢٦٨٧).

(٣)صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله تعالى، رقم الحديث (٢٦٢١).

ومعنى (يتألى علي): أي يقسم علي.

فهذا الحديث يبين عدة مسائل مهمة:

أولا: لا يجوز للمسلم أن يقول لأخيه ولو مازحا: والله لن يغفر الله لك، أو لن يدخلك الجنة أبدا؛ أو والله أنك ستدخل النار، لما في ذلك من القولِ على الله بغير علم، والتدخل في شؤون الخالق -جل وعلا، فالكل تحت المشيئة، ولا نجزم لأحد بدخول جنة أو نار، إلا من شهد له رسول الله ﷺ بذلك!

إنَّ الرجلَ الصالح يجب عليه ألا يحتقر أحدا من المقصرين المذنبين، وألا ينظر إليهم بعين الازدراء، وألا ينظر إلى نفسه بعين التعظيم والكبر والإعجاب، فإنَّ ذلك من موجبات الهلاك.

والبعض الآخر إذا رأى رجلا بارا بأحد والديه مدحه قائلا: هذا رجل ما قصر في حق والديه، وأشهد أنه لن يُسأل عنهما يوم القيامة، وما أدراك أنه لن يسأل؟ ولِم التقول على الله بما لا تعلم؟

فلا يشرع أن تحكم بأن الله راضٍ عن فلان، أو أن تحكم بأن الله ساخطٍ على فلان، فهذا ما لا نعلمه؛ لأن هذا ليس لنا وإنما هو علم يختص به الله -عز وجل-، فلا يعلم السرائر إلا الله -عز وجل؛ لذلك لا يجوز للمسلم أن يقتحم هذه الأمور ويتصدى لها فإنها من كبائر الذنوب، خصوصا إذا اقسم في كلامه متأليا على الله فيصبحَ هذا

الذنبُ محبطا لعمله.

وكذلك الحالُ مع غيرِ المسلمين، فالكفارُ والمشركونَ نحكم عليهم جملة بالكفر والشرك، ولكن لا نحكم لأي حي منهم بأنه في النار، لأننا لا ندري بم يُختمُ له، فلعله يسلم.

ثانيا: على المسلم الذي نَصَّبَ نفسه للدعوة إلى اللّه أن يُحسِّن أسلوبه مع الناس، وأن يكون همه كسب قلوبهم لا كسب موقفٍ عليهم.

ثالثا: يحرم على المسلم تقنيط أي إنسان من رحمة اللّه التي وسعت كل شيء، فإن العاصي حينما يرى أن باب الرحمة والتوبة قد أُغلق في وجهه، فسيستمر في معاصيه، ويزدادُ انحرافا وعصيانا، ولنا عبرة في قصة من قتل تسعة وتسعين شخصا وأراد التوبة، فذهب إلى عابد جاهل في أحكام الدين، فسأله هل له من توبة، فاستعظم العابد ذنبه، فقال: ليس لك توبة - وكأن لسان حاله يقول: لن يغفر اللّه لك بسبب عظم ذنبك - فقام فقتله وأكمل به المائة.

فبدل التقنيط من رحمة اللّه استخدم أسلوب الترغيب والترهيب فيما ورد من أحاديث نبوية، فإنها خيرُ معين لعودة العاصي إلى رشده[1].

قال النووي معلقا على هذا الحديث: "قوله - ﷺ -: "فيه دلالة

(١) محبطات الأعمال بتصرف، محمد النعيم، ٢٤.

لمذهب أهل السنة في غفران الذنوب بلا توبة إذا شاء الله غفرانها.

- واحتجت المعتزلة به في إحباط الأعمال بالكبائر، ومذهب أهل السنة أنها لا تحبط إلا بالكفر.

- ويتأول حبوط عمل هذا على أنه أسقطت حسناته في مقابلة سيئاته وسمي إحباطًا مجازًا، ويحتمل أنه جرى منه أمر آخر أوجب الكفر، ويحتمل أن هذا كان في شرع من قبلنا وكان هذا حكمهم"[1].

وفي رواية عند أبي داود في سننه في كتاب (الأدب) باب النهي عن البغي، من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:

«كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين أحدهما مطيع والآخر مقصر فما زال المطيع بالمقصر يؤنبه في ذات الله حتى قال له المقصر: خلني وربي أكنت علي رقيبًا، فقال المطيع والله لا يغفر الله لك، وفي رواية (والله ليدخلنك الله النار) فقال الله للمطيع: أكنت بي عالمًا أم كنت على ما في يدي قادرًا ادخل النار) قال أبو هريرة: فوالله إنه تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته.

قال ابن القيم - رحمه الله -: " فهذا العابد الذي قد عبد الله ما شاء أن يعبده أحبطت هذه الكلمة الواحدة عمله كله".

---

[1] المنهاج شرح صحيح مسلم(٨/٤٦١).

وهذا الحديث يرشد الدعاة إلى الصبر على أذى المدعوين، فإن بعضهم قد يتلفظ عليك ويؤذيك بلسانه حينما تُقدّمُ له النصيحة؛ فهذا العابد قال لصاحبه حينما رآه يسرف على نفسه بالمعاصي: أقصر عن الذنب، فرد عليه قائل: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ وكأنه يقول له: أنا حر ولا تتدخل في شؤوني، فغضب العابد ولم يصبر، فقال مقولته التي أوبقت عمله، فتألى على اللّه وأقسم قائلا: **وَاللّهِ لا يَغْفِرُ اللّهُ لَكَ**، فقاده الغضب إلى التألي على اللّه والقول على اللّه بغير علم.

فإذا نصحك إنسان لا ترد نصيحته، ولا تقل له عليك نفسك ولا تتدخل في شؤوني، فإن ذلك من أبغض الكلام عند اللّه -عز وجل -، فقد روى عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه عن النبي - ﷺ - أنه قال: «وإن أبغض الكلام إلى اللّه أن يقول الرجل للرجل: اتق اللّه، فيقول: عليك نفسك»(١).

الخلاصة التي يجب أن نخرج بها من هذه الكلمات: أن نعرف خطر التألي على اللّه وهو القسم بأن فلان في الجنة أو في النار، فلو رأيت مسلما قتل مئات أو آلاف المسلمين الصالحين، فلا يشرع لنا أن نجزم ونقسم بأنه في النار، فإن ذلك محرم، بل يحبطُ العملَ والعياذُ باللّه. نعم

(١)رواه النسائي في السنن الكبرى والطبراني.

يجوز لك أن تدعو عليه بالنار والعذاب، ولكن لا تتألى على اللّه فتقسم بأن اللّه سيدخله النار، فإن ذلك يحبطُ العملَ.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: «أن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان اللّه لا يلقى لها بالًا يرفعه اللّه بها درجات وأن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط اللّه لا يلقى لها بالا يهوي بها في نار جهنم».

وعند مسلم: «أن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين ما فيها يهوي بها في النار أبعد مما بين المغرب والمشرق».

وعند الترمذي عن النبي - رضي الله عنه - من حديث بلال بن الحارث المزني: «إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان اللّه ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب اللّه له بها رضوانه إلى يوم يلقاه وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط اللّه ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب اللّه له بها سخطه إلى يوم يلقاه»[(١)].

فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث.

---

(١) سنن الترمذي: كتاب الزهد (٢٣١٩)، سنن ابن ماجه: كتاب الفتن (٣٩٦٩)، وأخرجه أيضا مالك في الموطأ (١٨٤٨)، وأحمد (٣/٤٦٩)، وقال الترمذي: "وفي الباب عن أم حبيبة، وهذا حديث حسن صحيح"، وصححه ابن حبان (٢٨١)، والحاكم (١/١٠٧-١٠٨)، وهو في السلسلة الصحيحة (٨٨٨).

٢٠-الفرح والسرور بقتل المؤمن:

المسلم معصوم الدم لا يحل لإنسان أن يسفك دمه إلا بحق الإسلام. وقد جاءت الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة في تعظيم حُرمة المؤمن، والتغليظ فيمن استحل دمه؛ فسفكه، ولم يكن عنده من الله برهان. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣]

وقال - ﷺ -: «مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا فَاغْتَبَطَ بِقَتْلِهِ لَمْ يَقبَلِ الله مِنْهُ صَرْفاً ولا عَدْلًا»[١].

اغتبط: قال خالد بن دهقان: "سألت يحيى بن يحيى الغسانى عن قوله: "اغتبط بقتله" قال: الذين يقاتلون في الفتنة فيرى أنه على هدى لا يستغفر الله منه، وهذا التفسير على أنه من الغبطة بالغين المعجمة وهي الفرح والسرور وحسن الحال"[٢].

---

[١] اخرج أبو داوود (٤٢٧٠) وغيره من حديث عبادة بن الصامت .

[٢] النهاية: ٣/٦٢.

"الصرف: التوبة وقيل النافلة، والعدل الفدية، وقيل الفريضة"[١].

«من قتل مؤمنًا فاعتبط بقتله» بعين مهملة أي قتله ظلمًا بغير جناية ولا عن جريرة ولا عن قصاص، يقال عبطت الناقة إذا نحرتها من غير داء بها، وقيل بمعجمة من الغبطة الفرح والسرور؛ لأن القاتل يفرح بقتل خصمه فإذا كان المقتول مؤمنًا وفرح بقتله «لم يقبل اللّه منه صرفًا ولا عدلًا» والقتل أكبر الكبائر بعد الكفر[٢].

العجيب في أيامنا هذه، أن تجد مسلما مصليا، يسمع أن فئام من المسلمين يُقتلون، أو يُعذّبون، أو يُعتقلون في بقعة من بقاع الأرض فيفرح، ويرضى بما يُفعل بهم؛ لأنهم مخالفون له في الفكر، أو المذهب أو الحزب، فيا خيبتاه، ليعلم أنه مشاركهم في الإثم، ولو بعدت المسافات.

والعجيب في أيامنا هذه، أن تجد مسلما مصليا، يسمع أن فئام من المسلمين يُقتلون، أو يُعذّبون، أو يُعتقلون في بقعة من بقاع الأرض فيفرح، ويرضى بما يُفعل بهم؛ لأنهم مخالفون له في الفكر، أو المذهب أو الحزب، فيا خيبتاه، ليعلم أنه مشارك في الإثم، ولو بعدت المسافات؛ فعن

---

(١) النهاية: ٢/٢٥٩.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير، ١٩٣/٦

العرس بن عميرة الكندي عن النبي - ﷺ - قال: "إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها" وقال مرة: "فأنكرها كان كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كمن شهدها" [١].

٢١-إتيان الكُهّان والعرافين:

ويقصد بالعراف أنه الَّذِي يَتَعَاطَى مَعْرِفَة مَكَان الْمَسْرُوق، وَمَكَان الضَّالَّة، وَنَحْوهمَا. أي أنه يدَّعي معرفة الأمور، وما يقع في المستقبل، وما يكون من أمور غائبة، ونحو ذلك، بأيِّ طريقة كانت، سواء كان ذلك بالنظر في النجوم ويقال له "المنجِّم"، أم بالخط في الأرض والطرْق في الحصى ويقال له "الرمَّال".

ويقصد بالكاهن أنه الذي يتصل بالشياطين ليخدموه بعد أن يكفر بالله عز وجل، يخبرونه بما استرقوه من السمع، ثم هو يضيف إليه ما يضيف من الأخبار الكاذبة ليأكل أموال الناس بالباطل.

والعرّاف شامل لكل من ادعى علم الغيب؛ من الكاهن والمنجم والرّمال ونحوهم، ممن يقرأ في الكف والفنجان وغير ذلك، ممن يتكلم في معرفة الأمور الغيبية بطرق شيطانية، فإن هؤلاء يعبدون الشياطين، ويتقربون إليهم ليحققوا مقصدهم، فهم في الحقيقة خُدام للجن وأولياءُ

[١] رواه أبو داود (٤٣٤٥).

لهم، فالعرّاف والكاهن حين يلجأ إلى الجن، يطلب الجني من الكاهن السجود والذبح له والكفر بالله -عز وجل- وتدنيس المصحف ووضعه في القاذورات، فإن رأى منه استجابة أعطاه ما طلب، باستراق بعض المعلومات من الملائكة فيزيد عليها الكاهن أكاذيب كثيرة.

فعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: سَأَلَ أُنَاسٌ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- عَنِ الكُهَّانِ، فَقَالَ لَهُمْ: (لَيْسُوا بِشَيْءٍ)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ: فَإِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَ أَحْيَانًا الشَّيْءَ يَكُونُ حَقًّا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -ﷺ-: «تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْجِنِّ يَخْطَفُهَا الْجِنِّيُّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ قَرَّ الدَّجَاجَةِ، فَيَخْلِطُونَ فِيهَا أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كَذْبَةٍ» (١).

ولقد حرّم الإسلام حلوان الكاهن، وهو ما يتعاطاه المنجم والكهان والعرّاف وقارئ الفنجان وأمثالهم.

وحرّم الاتصال بهم على كافة الوجوه إلا أن يأتيهم المسلم ناهيًا وناصحًا وآمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر.

والذهاب إلى العرّاف، أو الكاهن للسؤال فقط ثمنه ضياع صلاة أربعين يومًا يعني مائتا فرض ولا حول ولا قوة إلا بالله، فعن نافع، عن صفية، عن بعض أزواج النبي -ﷺ- عن النبي -ﷺ- قال: « من

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢١٣)، ومسلم (٢٢٢٨).

أتى عرافا فسأله عن شيء؛ لم تُقبل له صلاة أربعين ليلة ».[(١)] أما من ذهب إلى هؤلاء فصدقهم فقد جاء في الصحيح: أنه قد كفر بما أُنزل على محمد - ﷺ -.

فعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: قال - ﷺ -: «من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد - ﷺ -».[(٢)]

الذهاب إلى العرّاف، أو الكاهن للسؤال فقط ثمنه ضياع صلاة أربعين يومًا يعني ماتئا فرض ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وعند البزار بسند صحيح عن ابن مسعود - رضي الله عنه - موقوفًا قال: « من أتى كاهنا أو ساحرا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد - ﷺ -».[(٣)]

"وأما معنى نهيه عليه السلام عن إتيان السحرة؛ فإنما ذلك على التصديق لهم فيما يقولون على علم من أتاهم بأنهم سحرة أو كهان، فأما

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤ / ٦٨) و (٥ / ٣٨٠)، ومسلم في الصحيح (٤ / ٥٥ / ٢٢٣٠)

(٢) صحيح، سنن أبي داود (٣٩٠٤)، سنن الترمذي ح (١٣٥)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى ح (٩٠١٧)، وابن ماجه ح (٦٣٩) والحاكم (٨/١) وقال: صحيح على شرطهما. ووافقه الذهبي..

(٣) صحيح أخرجه البزار واللفظ له ، وأخرجه أبو داود بدون لفظ ساحر.

من أتاهم لغير ذلك وهو عالم به وبحاله فليس بمنهى عنه عن إتيانه "[١].

ويمكن لكل شخص معرفة الساحر والعراف بعدة أمور أهمها:

إذا سألك عن اسمك واسم أمك فاعلم أنه يستعين بالجن، وإذا طلب منك أثرا منك كقطعة من ملابسك فاعلم أنه يستعين بالجن، وإذا طلب منك أن تذبح حيوانا بصفات معينة أو تلطيخ بدنك بدم ذلك الحيوان، فاعلم أنه يستعين بالجن، وإذا أعطاك حجامة فيها كتابة طلاسم أو حروف مقطعة وجداول حسابية وكلام غير مفهوم مع بعض الآيات، فاعلم أنه يستعين بالجن، وإذا رأيته يتمتم أثناء قراءة القرآن بكلام غير مفهوم فاعلم أنه يستغيث بالجني، وإذا أعطاك أشياء تدفنها في الأرض أو تخفيها في المنزل فاعلم أنه يستعين بالجن، وإذا رأيته يخبرك عن معلومات تخصك لا يعلمها غيرك، فاعلم أنه يستعين بالجن.

فكل هذه الأمور تدل على أن هذا الراقي إنما هو ساحر، يتستر بقراءة القرآن أمام الناس ولكنه في الحقيقة يستعين بالجن لعلاج مرضاه.

لقد كثر لجوء الناس إلى السحرة والمنجمين وسهل الوصول إليهم بعد بفتح قنوات فضائية متخصصة بالشعوذة والسحر، مما أوقع كثيرا من الناس في كبائر الذنوب ومحبطات الأعمال.

---

[١] شرح صحيح البخاري ــ لابن بطال،٩/٤٤٥.

فالذهاب إلى العرافين والمنجمين، وتصديقهم، والعمل بأقوالهم، هو قدح في توحيد الألوهية؛ وإذا ذهب توحيد العبد فماذا يبقى له من دينه؟

لذلك من خاف أن تحبط عنه حسناته يوم القيامة، فليتجنب الذهاب إلى العرافين أو الاتصال بهم، أو تصديق الأبراج والحظ المبثوثة في بعض المجلات والإنترنتيي، فإنها كلها من الكهانة والتنجيم.

٢٢-الاستهزاء والتنابز بالألقاب:

الاستهزاء والسخرية، وهما لفظان سيِّئان، وقد يكونان كفراً، وقد يكونان من كبائر الذنوب، فعلى المسلم أن يتدبَّر ويتفكَّر فيما يقول قبل أن تزلَّ قدمُه بما يندم عليه.

و لقد ذم اللّه تعالى الذي يؤذون المؤمنين والمؤمنات سواءً بالأقوال أو الأفعال القبيحة، التي هم برئاء منها، وبيّن أن ذلك يشبه البهتان، والتكذيب الفاحش المختلق، والذي من أمثلته: تعييرهم بحسب مذموم أو حرفة مذمومة أو أي شيء يثقل عليهم اذا سمعوه، كما بين سبحانه أن أذاهم حرام، وهو كبيرة من الكبائر، وهو جُرم من أشد الجرائم[(١)].

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٨]

---

(١) تفسير القران العظيم لابن كثير: ٣/٥٣٤.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ۖ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحُجُرات: ١١]

فهاتان الآيتان وغيرهما تنهى المؤمنين عن إيذاء بعضهم بعضا، وعن السخرية من بعضهم؛ لأنه ربما يكون المسخور منه أفضل عند اللّه من الساخر، كما نهى عن نداء بعضهم بأسماء لا يحبونها بل يكرهونها، ويتضايقون ويتأذون عند سماعها، وحذر ﷻ من لم ينته عن تلك الأفعال بأنه يعد ظالما آثمًا.

والهمز واللمز من السخرية :الهمز: هو السّخرية من النّاس بالإشارة كتحريك اليد قرب الرّأس إشارة إلى الوصف بالجنون، أو الوغض بالعين رمزا للاستخفاف، أو نحو ذلك من الحركات واللّمز: هو السّخرية من النّاس بالقول، كتسمية الشّخص باسم يدلّ على عاهة فيه أو مرض، أو اتّهامه بخليقة سيّئة، أو التّعريض بذلك[١] .

قال الطّبريّ - رحمه الله - التّنابز بالألقاب هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وعمّ اللّه بنهيه ذلك، ولم يخصّص به بعض الألقاب دون بعض، وغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم

(١)مكارم الأخلاق في القرآن الكريم ليحيى المعلمي ص ٣٣٣.

يكرهه أو صفة يكرهها[١] .

وقد وضح النبي -ﷺ- أن أذية المسلمين وشتمهم وضربهم والتقليل من شأنهم يحبط العمل، ويأكل الحسنات، وذلك في الحديث المتقدم فيما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن رسول اللّه -ﷺ- حين سأل أصحابه رضوان اللّه عليهم أجمعين عن المفلس.

٢٣- المنّ والأذى:

تعريف المن:

للمنّ اصطلاحا ثلاثة معان:

الأوّل: المنّ في الحرب وقد عرّفه الجرجانيّ فقال: المنّ: هو أن يترك الأمير الأسير الكافر من غير أن يأخذ منه شيئا [٢]. أي إطلاقه بلا عوض كما يقول الرّاغب [٣].

الثّاني: المنّ الفعليّ وهو أن يثقل الإنسان بالنّعمة، وذلك على الحقيقة لا يكون إلّا للّه تعالى، ومن ذلك قوله تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقوله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ

---

(١)تفسير القرطبي مجلد ١١ ج ٢٦ ص ٨٥.

(٢)التعريفات (٢٥٤) .

(٣)المفردات (٤٧٤) .

عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٩٤].

الثّالث: أن يكون ذلك بالقول؛ بأن يذكر الإنسان ما يظنّ أنّه أنعم به على أخيه، وذلك مستقبح فيما بين النّاس، إلّا عند كفران النّعمة، ولقبح ذلك قيل: المنّة تهدم الصّنيعة، ولحسن ذكرها عند الكفران قيل: إذا كفرت النّعمة حسنت المنّة [(١)].

أخبر الله تعالى أنّ الصدقة تبطل بما يتبعها من المن والأذى فما بقي ثواب الصدقة بخطيئة المن والأذى.

قال الشاعر

أَفْسَدْتَ بِالْمَنِّ مَا أَسْدَيْتَ مِنْ حَسَنٍ ... لَيْسَ الكَرِيمُ إِذَا أَسْدَى بِمَنَّانِ

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾ [البقرة: ٢٦٤].

شبّه القرآن الكريم حال من يبطل صدقته بالمن والأذى بحال المرائي

---

(١) انظر المفردات للراغب (٤٧٤) بتصرف وإضافة.

الذي ليس له أجرا أصلًا لأنه لم ينفق في سبيل الله، وإنما أنفق رئاء الناس، فكلاهما حابط العمل ومثل لحبوط أجريهما بالحجر الأملس الذي عليه تراب فأصابه مطر شديد أزال الله ما عليه من تراب وتركه أملس لا شيء عليه.

قال ابن حجر في الفتح: " قوله باب الرياء في الصدقة قال الزين بن المنير يحتمل أن يكون مراده إبطال الرياء للصدقة فيحمل على ما تمحض منها لحب المحمدة والثناء من الخلق بحيث لولا ذلك لم يتصدق بها.

قال الزين بن المنير: وجه الاستدلال من الآية أن الله تعالى شبه مقارنة المن والأذى للصدقة أو إتباعها بذلك بإنفاق الكافر المرائي الذي لا يجد بين يديه شيئا منه ومقارنة الرياء من المسلم لصدقته أقبح من مقارنة الإيذاء وأولى أن يشبه بإنفاق الكافر المرائي في إبطال إنفاقه.

قال ابن عباس: صلدًا ليس عليه شيء.

قال الضحاك: والذي يتبع نفقته منًا أو أذى فقال "فمثله كمثل صفوان": وهو الصفا وهو الصخر الأملس "عليه تراب فأصابه وابل" هو المطر الشديد "فتركه صلدا" أي فترك الوابل ذلك الصفوان صلدا أي أملس يابسا أي لا شيء عليه من ذلك التراب بل قد ذهب كله أي وكذلك أعمال المرائين تذهب وتضمحل عند الله وإن ظهرت لهم أعمال

فيما يرى الناس كالتراب(١).

إنَّ المن يستجلب غضب الله سبحانه ويستحق المنانّ الطرد من رحمته جل وعلا، وهو يوغر الصدور ويحبط الأعمال وينقص الأجر وقد يذهب به بالكلية، ويحرم صاحب هذه الآفة من نعمة نظر الله وكلامه معه يوم القيامة.

عن قتادة في هذه الآية قال: هذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار يوم القيامة يقول لا يقدرون على شيء مما كسبوا يومئذ كما ترك هذا المطر الصفا نقيًا ليس عليه شيء(٢).

والمن بالعطية له صور عديدة يتداولها بعض الناس في أحاديثهم وأفعالهم دون أن يشعروا فيبطل معروفهم، فهناك صنف من الناس يحسن إلى غيره إذا علم أن المقابل سيمدحه ويثني عليه، ولكن إذا لم يجد ذلك التكريم والثناء، أو حَدَثَ بينه وبين ذلك الرجل مشكلة، ذكّره بالمعروف الذي أسداه له، ومنَّ عليه بأفضاله إما سرا أو علانية أمام الملأ.

وبعض الناس قد يمنُّ على أنسابه وأهل زوجته، فيحدث زوجته بأنه أعطى أهلها وما زال يفعل ذلك، وأنه ذو فضل عليهم، ولولاه ما وصلوا

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ١/٦٩٤.

(٢) فتح القدير: ١/٣٢٩..

إلى ما وصلوا إليه، وأنه هو الذي وظَّفَ أولادهم، ونحو ذلك من كلمات تبطل ثواب كلَ ما عمله نحوهم.

والبعض قد يمن على زميل له فيقول: أنا قد توسطت لك أو خدمتك وأنت لم تفعل ذلك، أو يقول: إن فلان ما يستاهل، فالمعروف عليه ضائع، فقد دعوته في المناسبة الفلانية وهو لم يدعني في أي مناسبة، والبعض حينما يطلب منك مساعدة فلم تفعلها، ذكّركَ بحسناته عليك، وأنه أقرضك من ماله في اليوم الفلاني، وقدم لك المساعدة الفلانية، فكأنه لم يفعل ذلك لوجه الله عز وجل وإنما ليجعل ذلك رصيدا له عليك يستوفيه وقت الحاجة.

فكل هذه الأمثلة صور للمن في العطية يحبط ثوابها

وبلغ من بعض الناس في منِّهم: أنهم يمنون على الله -عز وجل- بصالح أعمالهم وأنهم أفضل من غيرهم، فترى البعض إذا نُهي عن معصية أو ذُكِّرَ بواجب فرط فيه قال: ماذا تريدون مني أكثر من ذلك؟ فأنا مصلي ومزكي ولا آكل الحرام ولا أؤذي غيري ولم آكل مال يتيم، وأنا خير من فلان وعلان، وبدأ يعدد صالح أعماله عليك، كأنه يمنُّ بها على الله -عز وجل-. وقد حصل مثل هذا لبعض الأعراب في زمن النبي -ﷺ- حينما جاء نفر من بني أسد بن خزيمة وقدموا المدينة في سنة جدبة، وأظهروا الشهادتين، وكانوا يقولون لرسول الله -ﷺ-:

أتيناك بالأثقال والعيال، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان، فأعطنا من الصدقة، فجعلوا يمنون عليه -ﷺ- فأنزل الله تعالى عليه آخر سورة الحجرات ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ [الحُجُرات: ١٤]، والتي فيها قوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحُجُرات: ١٧]فالمنّة مذمومة من الخَلقِ؛ لأن الله تعالى هو المنان جل وعلا، يمن على عباده بنعمه، فلا ينبغي أن نمن على الله -عز وجل-؛ لأنه هو المعطي والمنان جلا جلاله، بل نسأله بمنه وكرمه أن يعطينا، لأن من أسماءه الحسنى: المنان: أي كثير العطاء، فقد روى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ -رضي الله عنه- قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ= جَالِسًا، يَعْنِي وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ وَتَشَهَّدَ، دَعَا فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ -ﷺ- لأَصْحَابِهِ: «تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟ » قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»(١).

(١)رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان

ولقد أمرنا رسول اللّه ﷺ دبر كل صلاة أن نعترف بأن اللّه عز وجل هو صاحب المنِّ والفضل علينا، فقد كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ﷺ يَقُولُ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ حِينَ يُسَلِّمُ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَلا نَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ وَقَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُهَلِّلُ بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ.

وينبغي للمسلم أن لا يمنَّ بعمله على اللّه فَيَسْتَكْثِرُهُ ويؤل به الأمر إلى الكسل عن الاستزادة من العمل الصالح، وقد نهى اللّه -تبارك وتعالى - عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [المدَّثر: ٦]، وجاء في تفسير هذه الآية معنى آخر ذكره المفسرون، وهو: لا تعط عطاء تمن به على غيرك لتعطى أكثر منه.

فالخلاصة التي ينبغي أن نخرج بها من هذه الكلمات: هو العلم بأن المنَّ بالصدقة والإحسان كبيرة من الكبائر يحبط الحسنات، ويستجلب غضب اللّه -عز وجل -، ويحرم العبد من نعمة النظر إلى اللّه -عز وجل - يوم القيامة في صحيح مسلم عن أبي ذر - رضي الله عنه - أن النبي - ﷺ - قال: «ثلاثة لا ينظر اللّه إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم».

فقالوا: صفهم لنا يا رسول اللّه، فقد خابوا وخسروا، فقال النبي -

صلى الله عليه وسلم -: «المسبل إزاره، والمنان بعطيته، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب».

وعن ابن عمرو -رضي الله عنه- عن النبي - ﷺ - قال: «لا يدخل الجنة مدمن خمر ولا عاق لوالديه ولا منان»[١].

سمع ابن سيرين رجلًا يقول لآخر: " أحسنت إليك وفعلت وفعلت، فقال له ابن سيرين: " اسكُت فلا خير في المعروف إذا أُحصي "[٢].

و أنشد الشافعي:

لا تحملنَّ من الآثام ... بأن يمنوا عليك منه
و اختر لنفسك حظَّها ... و اصبر فإن الصبرَ جُنَّة
منَنُ الرجالِ على القلوب ... أشدُّ من وقعِ الأسنة

ممن يقع المن؟

والمن يقع غالبًا من البخيل والمعجب، فالبخيل: تعظم في نفسه العطية وإن كانت حقيرة في نفسها.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (٧/٤٥٤، رقم ١٣٨٥٩)، وأحمد (٢/٢٠٣، رقم ٦٨٩٢)، والطبراني كما في مجمع الزوائد(٦/٢٥٧) قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني وفيه جابان وثقه ابن حبان وبقية رجاله رجال الصحيح. والخطيب (١١/١٩١).

(٢) الكبائر، الذهبي، (ص١٥٢).

والمُعجب: يحمله العُجب على النظر لنفسه بعين العظمة، و أنه مُنعِم بماله على المُعْطَى. و موجب ذلك كله الجهل، و نسيان نعمة اللّه فيما أنعم به عليه، ولو نظر مصيره لعلم أن المنة للآخذ لما يترتب له من الفوائد"[١].

٢٤- الرياء:

الرياء في اللغة:

مشتق من الرؤية، وهي: النظر، يقال: راءيته، مراءاة، ورياء، إذا أريته على خلاف ما أنا عليه.

الرياء في الاصطلاح:

أن يظهر الإنسان العمل الصالح للآخرين أو يحسنه عندهم، أو يظهر عندهم بمظهر مندوب إليه ليمدحوه ويعظم في أنفسهم[٢].

فمن أراد وجه اللّه والرياء معًا فقد أشرك مع اللّه غيره في هذه العبادة، أما لو عمل العبادة وليس له مقصد في فعلها أصلًا سوى مدح الناس فهذا صاحبه على خطر عظيم، وقد قال بعض أهل العلم: إنه قد وقع في النفاق

---

(١) فتح الباري،(٤/٢٥٨).

(٢) ينظر: ((الرعاية)) (ص: ٢٠٩)، ((قواعد الأحكام)) للعز بن عبد السلام (ص: ١٦٠)، ((الإحياء)) (٣/ ٣١٤).

والشرك المخرج من الملة.

قال الله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود: ١٥، ١٦]. قال بعض أهل التفسير: نزلت في أهل الرياء[١]، وذلك أن أهل الرياء يعطون بحسناتهم في الدنيا، فمن عمل صالحا التماس الدنيا، صوما أو صلاة أو تهجدا بالليل، لا يعمله إلا التماس الدنيا، فإن الله يوفيه الذي التمس في الدنيا، ويحبط عمله الذي كان يعمله التماس الدنيا، وهو في الآخرة من الخاسرين.

وعن أبي بن كعب -رضي الله عنه-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: " «بشِّرْ هذه الأمةَ بالسَّناءِ، والنصرِ، والتمكينِ، فمن عمِلَ منهم عمَلَ الآخرةِ للدنيا، لم يكُن له في الآخرةِ نصيبٌ»[٢] .

صور الرياء:

والرياء له صور عديدة،

منها:

---

(١) تفسير ابن كثير(٤/٣١١).

(٢)إسناده حسن: أخرجه أحمد (٥/ ١٣٤) والحاكم (٤/ ٣١١).

١ - الرياء بالعمل، كمراءاة المصلي بطول الركوع والسجود.

٢ - المراءاة بالقول، كسرد الأدلة إظهارًا لغزارة العلم، ليقال: عالم.

٣ - المراءاة بالهيئة والزيِّ، كإبقاء أثر السجود على الجبهة رياء.

٤ - ومن صور الرياء في المجتمع كثيرة، فبعض الناس إذا رجع من أداء العمرة قال لبعض زملائه: لقد دعوت لكم عند الكعبة، مع أن النبي ﷺ حثنا أن ندعو لإخواننا بظهر الغيب، وبعضهم تراه يتصدق في بعض المحافل الخيرية لا ليكون قدوة لنظرائه الأغنياء، وإنما غايته أن يسجل أنه الداعم الذهبي أو الفضي. وبعضهم تراه يتحدث عن أعماله الصالحة عند الآخرين، وربما ذكر كم حجة حجها، وكم عمرة اعتمرها، وهو لم يسأل عن ذلك. وربما ذكر مساعدته للناس بجاهه أو ماله يريد بذلك المنزلة عند الناس، وأنه من المحسنين، فما الداعي للتحدث بأعمالك عند من لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا، ولا يملكون موتا، ولا حياة، ولا نشورا؟ فالصالحون دأبهم أن يعملوا العمل الصالح لا يريدون به جزاء ولا شكورا، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: ٩]

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

أي: " تبطل صدقة من راءى بها الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله

وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس أو يقال إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة اللّه تعالى ابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه.

و قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر: ١٠].

قال مجاهد: هم المراءون بأعمالهم يعني يمكرون بالناس يوهمون أنهم في طاعة اللّه تعالى وهم بُغضَاء إلى اللّه ﷻ يراءون بأعمالهم.

قال تعالى: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ أي يفسد ويبطل ويظهر زيفهم عن قريب لأولي البصائر والنهى فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها اللّه تعالى على صفحات وجهه وفلتات لسانه وما أسر أحد سريرة إلا كساه اللّه تعالى رداءها إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

فالمرائي لا يروج أمره ويستمر إلا على غبي، أما المؤمنون المتفرسون فلا يروج ذلك عليهم بل ينكشف لهم عن قريب وعالم الغيب لا تخفى عليه خافية[1].

و قال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الزُّمَر: ٤٧]

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٦/٥٣٧..

قيل: " كانوا عملوا أعمالًا كانوا يرونها في الدنيا حسنات بدت لهم يوم القيامة سيئات ".

إنّ الرياء داء عضال، وآفة عظيمة تحتاج إلى علاج شديد وتمرين للنفس على الإخلاص ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء والاستعانة بالله على دفعها.

علامات المرائي:

قال علي -رضي الله عنه-: للمرائي ثلاث علامات:

١ - يكسل إذا كان وحده.

٢ - ينشط إذا كان في الناس.

٣ -يزيد في العمل إذا أُثنِيَّ عليه، ويُنقِص إذا ذُم به.

المُرائي رجل سوء:

قال الحسن: " المرائي يريد أن يغلب قدر اللّه فيه، هو رجل سوء، يريد أن يقول الناس هو صالح، فكيف يقولون وقد حلَّ من ربه محل الارديا‌ء؟ ، فلابد من قلوب المؤمنين أن تعرفه".

و قال قتادة: " إذا راءى العبد يقول اللّه: " انظروا إلى عبدي كيف

يستهزئ بي"[١].

وقال ابن القيم - رحمه الله - الرياء يفسد العمل: "فيشفق على سعيه من هذا المفسد شفقة تصونه عنه"[٢].

وعن عقبة بن مسلم أن شفيا الأصبحي حدثه أنه دخل مسجد المدينة فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس فقال من هذا قالوا أبو هريرة - رضي الله عنه - قال فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث الناس فلما سكت وخلا قلت له أنشدك بحقي لما حدثتني حديثا سمعته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عقلته وعلمته فقال أبو هريرة أفعل لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عقلته وعلمته ثم نشغ أبو هريرة نشغة فمكث قليلا ثم أفاق فقال لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا وهو في هذا البيت ما معنا أحد غيري وغيره ثم نشغ أبو هريرة نشغة أخرى فمكث كذلك ثم أفاق فمسح عن وجهه فقال أفعل لأحدثنك حديثا حدثنيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنا وهو في هذا البيت ما معه أحد غيري وغيره ثم نشغ نشغة شديدة ثم مال خارا على وجهه واشتد به طويلا ثم أفاق فقال حدثني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «أن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة

---

[١] الكبائر، الذهبي،(ص١٤٤)..

[٢]مدارج السالكين، ص٢٤٨ .

ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل يقتل في سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله تبارك وتعالى للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي - ﷺ - قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله تبارك وتعالى له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان قارئ فقد قيل ذاك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما آتيتك قال كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله له كذبت وتقول الملائكة له كذبت ويقول الله بل إنما أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذاك ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقال له في ماذا قتلت فيقول أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذاك» ثم ضرب رسول الله -ﷺ- ركبتي فقال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة قال الوليد بن أبي الوليد فأخبرني عقبة أن شفيا هو الذي دخل على معاوية فأخبره بهذا الخبر قال أبو عثمان الوليد وحدثني العلاء بن أبي حكيم أنه كان سيافا لمعاوية قال فدخل عليه رجل فحدثه بهذا عن أبي هريرة فقال معاوية قد فعل بهؤلاء مثل هذا فكيف بمن بقي من الناس ثم بكى معاوية بكاء شديدا حتى ظننا أنه هالك وقلنا قد جاءنا هذا الرجل بشر ثم أفاق معاوية ومسح

عن وجهه فقال صدق الله ورسوله:

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود: ١٦][١].

قال سحنون: " كان بعض من مضى يريد أن يتكلم بالكلمة ولو تكلم بها لانتفع بها خلق كثير فيحبسها، ولا يتكلم مخافة المباهاة " [نزهة الفضلاء، (ج٣/٩٨٣)].

من أقوال السلف في الرياء:

قال الفضيل بن عياض: " ترك العمل من أجل الناس رياء، و العمل من أجل الناس شرك، و الإخلاص أن يعافيك الله عنهما "[٢].

---

(١) صحيح بن حبان، ذكر البيان بأن من راءى في عمله يكون في القيامة من أول من يدخل النار، (ج١/٤١٢)، رقم (٤٠٨)..

(٢) نزهة الفضلاء، (ج٢/٧٧٤)..

> إنه لا يشفع للمرء كون عمله عظيما إذا كانت النية باطلة ، حتى ولو كان العمل هو الجهاد في أرض المعركة ومقارعة السيوف وإراقة الدماء ، فإن النية الفاسدة تحبط ذلك العمل كله.

وقال الإمام الطيّبي عن الرياء: « هو من أضر غوائل النفس، وبواطن مكائدها ، يبتلى به العلماء والعباد ، والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة، فإنهم مهما قهروا نفوسهم وفطموها عن الشهوات، وصانوها عن الشبهات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة، الواقعة على الجوارح، فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل، فوجدت مخلصاً من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق، ولم تقنع باطلاع الخالق تبارك وتعالى، وفرحت بحمد الناس، ولم تقنع بحمده اللّٰه وحده، فأحبت مدحهم، وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه في المحافل، فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات، وأعظم الشهوات، وهو يظن أن حياته باللّٰه تعالى وبعبادته، وإنما حياته هذه الشهوةُ الخفية التي تعمى عن دَرَكها العقولُ النافذة، قد أثبت اسمه عند اللّٰه من المنافقين، وهو يظن أنه عند اللّٰه من عباده المقربين، وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون، ولذلك

كان أيوب السختياني في مجلس فجاءته عَبرة فجعل يتمخّط ويقول ما أشد الزكام ." [نزهة الفضلاء، (ج٢/٦٢٦)].

قيل: « آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة»[١] .

وقال سفيان الثوري: " كم أجتهد في تخليص الرياء من قلبي كلما عالجته من جانب ظهر من جانب"

اتقاء الرياء:

ينبغي للمسلم البعد عن الرياء والحذر من الوقوع فيه، وهناك أمور تعين على البعد عنه، أهمها:

١ - تقوية الإيمان في القلب، ليعظم رجاء العبد لربه، ويعرض عمن سواه، ولأن قوة الإيمان في القلب من أعظم الأسباب التي يعصم اللّه بها العبد من وساوس الشيطان، ومن الانقياد لشهوات النفس.

٢ - أن تستشعر مراقبة اللّه لك، أن تكون متعبدا للّه ترجو ثواب اللّه ولا ترجو أحدا من الناس أن يمدحك، وأن تعلم أن العباد لن ينفعوك بشيء يوم القيامة، ولن يعطوك حسنة واحدة، وحينئذ لن تبالي بهم سواء علموا بعبادتك أو لم يعلموا، أو أثنوا عليك أو لم يثنوا عليك، وقد جاء في الحديث أن اللّه تعالى يقولُ يومَ القيامةِ

(١) احياء علوم الدين (٣/٢٧٥).

للمـرائين: اذهبـوا إلى مـا كنـتم تُـراءون في الـدنيا فـانظروا هـل تجدون عندَهم مِن جزاءٍ)؟

٣ - الحِرْص على كِتْمان العمل وإخفائه، وقد قال -ﷺ «من استطاع منكم أن يكونَ له خَبيءٌ من عملٍ صالحٍ فلْيفعْلْ»، واعلم أنه كلما أخفيت أعمالك عَظُمَ أجرك، ألا تعلم بأن الذي يصلي النافلة في المكان الذي لا يراه فيه أحد يتضاعف ثوابها إلى خمس وعشرين ضعفا عمن صلاها أمام الناس؟ فقد روى صهيب الرومي رضي الله عنه أن رسول اللّه -ﷺ- قال: «صلاة الرجل تطوعا حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أعين الناس خمسا وعشرين»[1] وقد سُئل بعضُ الحُكماء: مَن المخلص؟ فقال: "المخلِص الذي يَكْتُم حسناتِه كما يكتم سيئاتِه.

٤ - أن تقول الدعاء الذي رواه أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن رسول اللّه -ﷺ قال: «الشركُ فيكم أخفى من دبيبِ النملِ، وسأدلُك على شيءٍ إذا فعلتَه أذْهَبَ عنك صَغارُ الشركِ وكبارُه، تقولُ: اللهمَّ إني أعوذُ بك أنْ أُشرِكَ بك وأنا أعلمُ، وأستغفرُك لما لا أعلمُ»[2]

---

(١)رواه أبو يعلى.

(٢)رواه الترمذي.

٥ - التزود من العلم الشرعي، وبالأخص علم العقيدة الإسلامية، ليكون ذلك حرزًا له بإذن اللّه من فتن الشبهات، وليعرف عظمة ربه جل وعلا، وضعف المخلوقين وفقرهم، فيحمله ذلك كله على مقت الرياء واحتقاره والبعد عنه، وليعرف أيضًا مداخل الشيطان ووساوسه، فيحذرها.

٢٥- العُجب:

تعريف العُجب:

العُجب هو: الإحساس بالتميّز، والافتخار بالنفس، والفرح بأحوالها، وبما يصدر عنها من أقوال وأفعال، محمودة أو مذمومة[١]، وعرفه ابن المبارك بعبارة موجزة فقال: **(أن ترى أن عندك شيئًا ليس عند غيرك)**[٢].

وإذا تنقص المعجب أعمال الآخرين، أو أعجب بما ليس فيه، واهمًا امتلاكه، فهو الغرور؛ فإذا طال أشخاص الآخرين فهو الكبر.

ويدخل العجب في كل شيء يزهو به الإنسان، وأخطره العجب بالعمل. وهو المقصود هنا.

---

(١)انظر آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح، ج١، ص ١١٧.

(٢)سير أعلام النبلاء، ج٨، ص ٤٠٧.

التحذير من العجب:

أمر اللّه - عز وجل - نبيه بالإنذار والدعوة، وتعظيم ربه - عز وجل - وفعل الخير، واجتناب الشر، وهجر الأوثان، ثم قال له بعد ذلك: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾[المدثر: ٦]، قال الحسن البصري: (لا تمنن بعملك على ربك تستكثره)، فإنه مهما كُثُرَ العمل ففضل اللّه أعظم، وحقه أكبر.

وقد نهى اللّه عن تزكية النفس، بمعنى اعتقاد خيريتها، والتمدّح بها فقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[النجم: ٣٢]، كما نهى عن المن بالصدقة فقال: ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾[البقرة: ٢٦٤]، والمن يحصل نتيجة استعظام الصدقة، واستعظام العمل هو العُجب. والإعجاب بالنفس شر، وأي شر، قال ابن المبارك: (**لا أعلم في المصلين شيئًا شرًا من العجب**)[(١)].

ولعل المرء يدافع الرياء ويحس به، بيد أنه لا يشعر بما في داخله من العجب المحبط، ومن أجل ذلك كان مهلكًا بوصف النبي - ﷺ - حين قال: «ثلاث مهلكات) ثم ذكرهن: (شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»[(٢)].

---

(١) المرجع السابق، ج١، ص ٤٠٧.

(٢) حسنه الألباني في صحيح الجامع، ح/٣٠٤٥.

وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-: (الهلاك في شيئين: العجب والقنوط). . (وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تُنال إلا بالطلب والتشمير، والقانط لا يطلب، والمعجب يظن أنه قد ظفر بمراده فلا يسعى)[1].

وإذا كانت الذنوب مهلكة، فإنها قد تكون رحمة بصاحبها حين تخلصه من العجب الذي هو الهلاك حقًا. قال: «لو لم تكونوا تذنبون، خشيت عليكم أكثر من ذلك: العجب»[أخرجه ابن عدي ١/ ١٤٦، وغيره، وحسنه الألباني في الصحيحين، ح/٦٥٨].

ومما ورد في جزاء المعجبين قوله: «بينما رجل يتبختر، يمشي في برديه، قد أعجبته نفسه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» وفي رواية: (قد أعجبته جمته وبرداه»[2]، فكيف بمن أُعجِبَ بعلمه أو عمله؟!

قال ابن القيم في (مدارج السالكين): «ويحتمل أن يكون تعييرك لأخيك بذنبه أعظمَ إثما من ذنبه وأشد من معصيته؛ لما فيه من صولة الطاعة وتزكيةِ النفس وشكرِها والمناداة عليها بالبراءة من الذنب وأن أخاك باء به، ولعل كسرته بذنبه وما أحدث له من الذلة والخضوع

---

(١) مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٣٤.

(٢) رواه مسلم، ح/٢٠٨٨، معنى (يتجلجل): يغوص، ومعنى (جمته): ما سقط على المنكبين من شعر الرأس.

والإزراء على نفسه والتخلص من مرض الدعوى والكبر والعجب الذي هو فيك وأنت لا تدري ووقوفَه بين يدي اللّه ناكس الرأس خاشع الطرف منكسر القلب أنفعُ له وخيرٌ من صولة طاعتك وتكثرِك بها والإعتدادِ بها والمنةِ على اللّه وخلقه بها ، فما أقرب هذا العاصي من رحمة اللّه وما أقرب هذا المدل من مقت اللّه، فذنب تَذِل به لديه أحب إليه من طاعة تُدل بها عليه وإنك أن تبيت نائما وتصبح نادما خيرٌ من أن تبيت قائما وتصبح معجبا فإن المعجب لا يصعد له عمل، وإنك أن تضحك وأنت معترف خير من أن تبكي وأنت مدل، وأنين المذنبين أحب إلى اللّه من زجل المسبحين المدلين، ولعل اللّه أسقاه بهذا الذنب دواء استخرج به داء قاتلا هو فيك ولا تشعر، فلله في أهل طاعته ومعصيته أسرار لا يعلمها إلا هو »[1].

مظاهر العجب:

اللّه - عز وجل - أعلم بالإنسان من نفسه، والإنسان أعلم الناس بنفسه فهو أقدرهم على اكتشاف مظاهر العجب في نفسه، كما أن بعضها لا يخفى على الناس، ومنها:

١ - المنّ على اللّه، ومطالبته بما آتى الأولياء، وانتظار الكرامة وإجابة الدعوة.[2]

---

(١) مدارج السالكين(١/١٧٧).

(٢)انظر الآداب الشرعية لابن مفلح، ج١، ص ١٥٨.

٢ - الإكثار من الثناء على النفس ومدحها، لحاجة ولغير حاجة، تصريحًا أو تلميحًا، وقد يكون على هيئة ذم للنفس أو للآخرين، يراد به مدح النفس.

قال يوسف بن الحسين للجنيد: " لا أذاقك الله طعم نفسك، فإن ذقتها لا تُفلح " ." [نزهة الفضلاء، (ج٣/١١٤٧)..].

٣ - الحرص على تصيّد العيوب وإشاعتها، وذم الآخرين ـ أشخاصًا أو هيئات ـ والفرح بذمهم وعيبهم.

٤ - النفور من النصيحة، وكراهيتها، وبغض الناصحين.

٥ - الاعتداد بالرأي، وازدراء رأي الغير.

٦ - صعوبة المطاوعة، والحرص على التخلص من التبعات والمسئوليات، وتحقيق القناعات الشخصية.

٧ - الترفع عن الحضور والمشاركة في بعض الأنشطة العلمية والدعوية، وخصوصًا العامة.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [التوبة : ٢٥].

قال ابن كثير - رحمه الله -: " يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم

وإحسانه لديهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله وأن ذلك من عنده تعالى وبتأييده وتقديره لا بعددهم ولا بعدتهم ونبههم على أن النصر من عنده سواء قل الجمع أو كثر فإن يوم حنين أعجبتهم كثرتهم ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئًا فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله -ﷺ- ثم أنزل نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه، ليعلمهم أن النصر من عنده تعالى وحده وبإمداده وإن قل الجمع فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين"[١].

ماذا لو أعجبتك نفسك؟

خطب منذر بن سعيد البلوطي يومًا: فأعجبته نفسه فقال: "حتى متى أعظ ولا أتعظ، وأزجر وأزدجر، أدل على الطريق المستدلين، و أبقى مقيمًا مع الحائرين، كلاّ إنَّ هذا لهو البلاء المبين، "اللهم فرغبني لما خلقتني له، ولا تشغلني بما تكلفت لي به "[٢].

قال أحد الصالحين: " إن العجب يحبط عمل سبعين سنة ".

وكذلك العلماء الذين ظهرت عليهم سيما الصالحين يسرع إليهم

---

(١) تفسير القرآن العظيم: ٤/١٢٥.

(٢) المرجع السابق، (ج٣/١٢٧٩-١٢٨٠)..

الكبر، لكن الناس يترددون إليهم بقضاء مآربهم والمبالغة في إكرامهم فيرون حينئذ أنهم أرفع وأحق بأن يكون الناس دونهم لعدم وصولهم إلى صور أعمالهم، وما دروا أن ذلك ربما يكون سببا لسلبهم. كما وقع أن خليعا[١] من بني إسرائيل جلس إلى عابد لينتفع به فأنف من مجالسته وطرده، فأوحى اللّه - تعالى - إلى نبيهم أنه غفر للخليع وأحبط عمل العابد. فالجاهل العامي إذا تواضع وذل هيبة للّه وخوفا منه فقد أطاع بقلبه فهو أطوع من العالم المتكبر والعابد المعجب. وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعض العباد إلى أنه إذا أوذي يتوعد مؤذيه ويقول: سترون ما يحل به، وإذا نكب مؤذيه يعد ذلك من كراماته لعظم قدر نفسه عنده واستيلاء الجهل عليه لجمعه بين العجب والكبر والاغترار باللّه تعالى[٢].

وَقال أَبُو نُعَيْمٍ: " من حمد نفسه على عملٍ صالح فقد ضل شكره وحبط عمله "[٣].

علاج العجب:

---

(١) خليعا يعني فاسقا .

(٢) الزواجر عن ارتكاب الكبائر، (ج١/٨٧)..

(٣) الآحاد والمثاني لأحمد بن عمرو بن الضحاك، ٥/٢٢٧ رقم٢٧٥٧.

١ - تذكر دائما أن المنعم عليك بالعمل هو اللّه وحده: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١]وقال سبحانه في معرض بيان امتنانه وفضله على المؤمنين: " ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحُجُرات: ٧]

٢ - اعلم أنك مهما بلغت من العبادة فلن تصل إلى مرتبة رسول اللّه ﷺ الذي كان هو هو في العبادة والزهد والخوف من اللّه ومع ذلك فكان يقول كما في البخاري عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - : «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا فَإِنَّهُ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِمَغْفِرَةٍ وَرَحْمَةٍ»[1].

٣ - إن العبرة بالخاتمة لا بكثرة العمل. يقول عبداللّه بن مسعود - رضي الله عنه -: حدثنا رسول اللّه - ﷺ - وهو الصادق المصدوق: «إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل

[1] أخرجه البخاري في صحيحه في الرقاق باب القصد والمداومة على العمل (٥/٢٣٧٣).

أهل النار حتى لم يبق بينه وبينها إلا ذراع أو باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » [١] .

٤ -هل عندنا ضمان من اللّه بقبول أعمالنا؟ قد يكدح المرء ويتعب ويظن أنه من الفائزين بالجنة فإذا بالعمل يُرد عليه ولا يُقبل منه! !

جاء في الترمذي أن عائشة زوج النبي -ﷺ- قالت سألت رسول اللّه -ﷺ- عن هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: ٦٠] قالت عائشة أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: « لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات»[٢].

٢٦-الجُرأة على المعاصي في الخلوات:

عن ثوبان -رضي الله عنه- قال: عن رسول اللّه -ﷺ- أنه قال: « لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء

---

(١)متفق عليه.

(٢)رواه الترمذي ح (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨).

فيجعلها الله هباء منثورا قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لا نَعْلَمُ، : قال: «أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها! ! . »[(١)].

فإذا كان صاحبُ رسول الله - ﷺ - ثوبان -رضي الله عنه- يخاف أن يكون منهم، ويحذر أن يكون من جملتهم؛ فماذا سنقول نحن، والتقصير قد ملأ حياتنا، والشهوات قد أحاطت بنا من كل جانب، ومنسوب الإيمان قد قلّ في قلوبنا إلا من رحم الله؟ فهذا الصحابي ثوبان رضي الله عنه يقول: " **صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لا نَعْلَمُ**"، فيجيب ﷺ بما لم يكن في الحسبان، ويخبر أنهم من المسلمين، ولهم من الأعمال الجليلة ما لهم؛ لكنهم جعلوا الله - عز وجل - أهون الناظرين إليهم عندما راقبوا الناس، فعملوا في الظاهر ما يخالف الباطن، ووقعوا في محارم الله، ونسوا أو تناسوا أن الله بكل شيء عليم، وأنه يعلم السر وأخفى. ومحارم الله: هي كل ما حرمه الله تعالى من الصغائر والكبائر.

والمراد بالموصفين بوصف أنهم ينتهكون محارم الله: هم من يبتعد عن المعصية ويتظاهر بالصلاح مراعاة للناس، وأمام أعينهم، وبمجرد أن يخلو بنفسه ويغيب عن أعين الناس سرعان ما ينتهك حرمات الله، فهذا قد

---

(١) رواه ابن ماجه، و صححه الألباني .

جعل الله سبحانه أهون الناظرين إليه، فلم يراقب ربه، ولم يخش خالقه، كما راقب الناس وخشيهم.

والاختلاء لا يشترط فيه الخلوة عن الناس، فقد ترى شابا يجلس أمام والديه وإخوته، ولكنه ينظر في جواله يقلب صفحات الانترنت على مواقع إباحية وجلساؤه لا يعلمون به، وقد ترى شابا يسافر إلى بعض الدول التي تعلن الفجور، فيفجر معهم؛ لأنه لا يرى فيها أحدا يعرفه، ناسيا ربه المطلع عليه.

ومن هؤلاء من تكون خلواته في مشاهدة القنوات الفضائية الفاسدة، والنظر في الإنترنت إلى مواقع الجنس الفاضح، واستعمال أسماء مستعارة للمحادثة والمراسلة مع الأجنبيات، وقد تجد لهؤلاء نصيبا في الظاهر من الاستقامة، في اللباس، والصلاة، والصيام، ومن هنا كان هذا الحديث محذِّراً لهم أن يجعل حسناتهم هباء منثورا يوم القيامة، إن لم يبادروا بالتوبة.

أما من يجاهد لترك المعاصي، ولكن قد يضعف أحياناً من غير مداومة على مواقعة المحرمات، ولا إصرار عليها، فيرجى ألا يكون داخلاً في ذلك. و الحديث يشير إلى أقوام عندهم نوع من النفاق فهم يصلون ويصومون، ولكن الذي أفسد أعمالهم هو النفاق ومرض القلب، فقد روى أبو نعيم في حلية الأولياء عن مالك بن دينار أن هذا الحديث في

المنافقين قال: "هو والله النفاق. . . فأخذ المعلى بن زياد بلحيته، فقال: صدقت والله أبا يحيى".

قال سحنون: " إياك أن تكون عدوا لإبليس في العلانية صديقا له في السر".

وقال وهيب بن الورد: " اتق أن يكون الله أهون الناظرين إليك" الحلية (٨/

أو هو في أقوام يراءون الناس بأعمالهم، كما في الثلاثة الذين هم أول من تُسعر بهم النار، أو هو في قوم أوبقتهم أعمالهم بكثرة سيئاتهم، فغلبت سيئاتهم على حسناتهم، فيعاقبون في النار ولا يخلدون فيها إن كانوا مؤمنين. فالله سبحانه وتعالى أكرم وأعدل من أن يحبط عمل أحد دون سبب، ولن يضيع أجر من أحسن عملاً، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء: ٤٠]، وإنما يحبط أعمال الكافرين والمنافقين لأن من شروط قبول العمل الإيمان والإخلاص، كما قال تعالى في شأن الكفار: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣]

فالواجب على المسلم أن يحذر من ذنوب الخلوات، فالله تعالى قد ذم من يستخفي بذنبه من الناس، ولا يستخفي من الله، قال تعالى:

﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النساء: ١٠٨]

ولنعلم بأن ذنوب الخلوات مدعاة لسوء الخاتمة، قال ابن القيم - رحمه الله -: "أجمع العارفون أن ذنوب الخلوات هي أصل الانتكاسات، وأن طاعة السر هي أصل الثبات"

ولنعلم أن اللّه تعالى قد يبتلي عبده فيهيئ له معصية، ليرى هل يخافه بالغيب؟ أم أنه لا يخشاه إلا بحضور الناس فقط؟ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ ﴾ [المائدة:٩٤]

، فانتبه يا عبد اللّه من المعصية حين تكون لوحدك، ولذلك كان أجر من دعته امرأة ذات منصب وجمال بعد أن اختلت به، الاستظلال تحت العرش يوم القيامة؛ لأنه قال لها: إني أخاف اللّه.

فلنخش اللّه تعالى في السر والعلن، ولا نجعل اللّه تعالى أهون الناظرين إلينا، ولنكثر من الطاعات والعبادات في السر والخفاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [الملك:١٢]

فاللّه اللّه في السرائر، فيجب على كل مسلم أن يصلح سريرته، وليكن حرصه على باطنه وسريرته، أعظم من حرصه على ظاهره؛ فلا

يكفي أن تجمع الحسنات، وإنما المهم أن تحافظ على هذه الحسنات حتى لا تذهب هباء منثورا.

إِذَا مـا خَلَـوْتَ بِرِيبَـةٍ فِـي ظُلْمَـةٍ   وَالـنَّفْسُ دَاعِيَـةٌ إِلَـى العصيان
فَاسْتَحِ مِنْ نَظَرِ الإِلَـهِ وَقُلْ لَهَا   إِنَّ الَّـذِي خَلَـقَ الظَّـلامَ يَرَانِـي

٢٧-ظلم الناس والاعتداء عليهم قولًا وعملًا:

الظّلم لغة:

الظّلم اسم من ظلمه ظلما، ومظلمة بفتح الميم وكسر اللّام، وتجعل المظلمة اسما لما تطلبه عند الظّالم، كالظّلامة بالضّمّ، وظلّمته بالتّشديد، نسبته إلى الظّلم، وأصل الظّلم، وضع الشّيء في غير موضعه، وفي المثل «من استرعى الذّئب فقد ظلم»[(١)].

الظلم اصطلاحا:

التّصرّف في حقّ الغير بغير حقّ، أو مجاوزة الحقّ[(٢)].

وقيل: وضع الشّيء بغير محلّه بنقص أو زيادة أو عدول عن زمنه[(٣)].

---

(١)المصباح المنير (١٤٦).

(٢)انظر: دليل الفالحين (١/ ٥١٤)، جامع العلوم والحكم (٢١١).

(٣)التوقيف على مهمات التعاريف (٢٣١)، والمفردات للراغب (٣٠٥).

وقال الجاحظ: الجور (الظّلم) هو الخروج عن الاعتدال في جميع الأمور، والسّرف والتّقصير وأخذ الأموال من غير وجوهها، والمطالبة بما لا يجب من الحقوق وفعل الأشياء في غير مواضعها ولا أوقاتها، ولا على القدر الّذي يجب ولا على الوجه الّذي يحبّ[1].

إنّ ظلم العباد والاعتداء عليهم من أعظم ما يُفسد عمل الصالحات، لأنّ حقوق النّاس مبنية على العدل والمقاصة بينهم .

حكم الظّلم:

قال الإمام الذّهبيّ: "الظّلم يكون بأكل أموال النّاس وأخذها ظلما، وظلم النّاس بالضّرب والشّتم والتعدّي والاستطالة على الضّعفاء، وقد عدّه الكبيرة السّادسة والعشرين. وبعد أن ذكر الآيات والأحاديث الّتي تتوعّد الظّالمين، نقل عن بعض السّلف قوله: لا تظلم الضّعفاء فتكون من شرار الأقوياء ثمّ عدّد صورا من الظلم منها:

- أخذ مال اليتيم.
- المماطلة بحقّ الإنسان مع القدرة على الوفاء.
- ظُلم المرأة حقّها من صداق ونفقة وكسوة.

---

(١)تهذيب الأخلاق (٣٤) .

- ظلم الأجير بعدم إعطاء الأجرة [(١)].

> قال سعيد بن المسيب - رحمه الله -: " لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لئلا تُحبط أعمالكم الصالحة ". [حلية الأولياء(٢/١٧٠)].

قال ابن القيم - رحمه الله -:

«والظّلم عند اللّه عزّ وجلّ يوم القيامة له دواوين ثلاثة: ديوان لا يغفر اللّه منه شيئا، وهو الشّرك به، فإنّ اللّه لا يغفر أن يشرك به. وديوان لا يترك اللّه تعالى منه شيئا، وهو ظلم العباد بعضهم بعضا، فإنّ اللّه تعالى يستوفيه كلّه. وديوان لا يعبأ اللّه به، وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربّه - عزّ وجلّ - فإنّ هذا الدّيوان أخفّ الدّواوين وأسرعها محوا، فإنّه يمحى بالتّوبة والاستغفار والحسنات الماحية والمصائب المكفّرة ونحو ذلك. بخلاف ديوان الشّرك، فإنّه لا يمحى إلّا بالتّوحيد، وديوان المظالم لا يمحى إلّا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها. ولمّا كان الشرك أعظم الدّواوين الثّلاثة عند اللّه - عزّ وجلّ - حرّم الجنّة على أهله، فلا تدخل الجنّة نفس مشركة» [(٢)].

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا

---

(١) الكبائر (١٠٤- ١١٠) باختصار وتصرف.

(٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب (٣٣).

يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ " [إبراهيم: ٤٢ -٤٣].

" أي لا تحسبنه إذا أنظرهم وأجلهم أنه غافل عنهم مهمل لهم لا يعاقبهم على صنعهم بل هو يحصي ذلك عليهم ويعده عليهم عدا "[١].

لذلك قال سفيان الثوري - رحمه الله -: إنك أن تلقى الله عز وجل بسبعين ذنب فيما بينك وبينه، أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد اهـ[٢].

ولنعلم بأن العملة التي سيتعامل فيها الخلق يوم القيامة لأخذ حقوقهم من بعضهم البعض ليست الريال ولا الدينار، وإنما هي الحسنات والسيئات،

و عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه». [صحيح البخاري،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (ابن كثير).

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة،٧٢٦.

باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته][١].

و عن عبد الله بن أنيس - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: « يُحشر العباد يوم القيامة حفاة عُراة غرلًا فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، أنا الملك الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة لأحد من أهل النار وعنده ملمة أن أقصه حتى اللطمة فما فوقها لا يظلم ربك أحدًا. قلنا: يا رسول الله كيف وإنما نأتي حفاة عراة. فقال: بالحسنات السيئات جزاء ولا يظلم ربك أحدًا»[٢].

ذكر القرطبي في تفسير قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ (يفر لأنه يخاف من أنْ يروه فيطالبوه بحقوقهم عليه في الدنيا التي قصر فيها.

ولقد بلغ من تشديد النبي - صلى الله عليه وسلم - في النهي عن إيذاء الناس، أنه

---

(١) صحيح، أخرجه البخاري: كتاب الرقاق – باب القصاص يوم القيامة، حديث (٦٥٣٤) بنحوه من حديث أ بي هريرة دون قوله: ((ثم طرح في النار)) فقد وردت في الحديث الآخر عند مسلم: كتاب البر والصلة والآداب – باب تحريم الظلم، حديث (٢٥٨١) .

(٢) رواه أحمد (٣/ ٤٩٥) (١٦٠٨٥). وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن، وحسنه الألباني في ((صحيح الأدب المفرد)) (٩٧٠). والحديث في (الصحيحين) عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم.

هدد المجاهدين بنقص ثوابهم أو ببطلان جهادهم لو آذوا الناس في طرقهم ومنازلهم أثناء الجهاد، فعن معاذ بن أنس ﷺ قال: غزوت مع نبي اللّه - ﷺ - غزوة كذا وكذا، فضيق الناس المنازل وقطعوا الطريق، فبعث نبي اللّه -ﷺ- مناديا ينادي في الناس أن: «من ضيق منزلا أو قطع طريقا فلا جهاد له»[1].

فهذه منزلة حقوق العباد عند اللّه -عز وجل-، لا يهملها، وإنما ينصف المظلوم حتى يأخذ حقَّه.

فاحذروا كل الحذر من الاعتداء على حقوق الناس وإيذائهم، وتحللوا من كل من بخستموه حقه، قبل ألاّ يكون درهم ولا دينار.

٢٨-الحسد:

الحسد: هو تمني زوال النعمة عن صاحبها، سواءً كانت نعمة دين أو دنيا.

وقال الجرجانيّ: الحسد تمنّي زوال نعمة المحسود إلى الحاسد»[2].

---

(١)رواه أبو داود (٢٦٢٩ و ٢٦٣٠).

(٢)[الإحياء (٣/ ١٨٩)، والتعريفات (٨٧)]

وقال الجاحظ: الحسد: هو التألّم بما يراه الإنسان لغيره وما يجده فيه من الفضائل، والاجتهاد في إعدام ذلك الغير ما هو له، وهو خلق مكروه وقبيح بكلّ أحد[١].

"الحسد أول ذنب عُصِيَ الله به في السماء، وأول ذنب عُصِيَ به في الأرض؛ فأما في السماء فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض فحسد قابيل لهابيل".

قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤].

والحسد: مركوز في طباع البشر، و الإنسان يكره أن يتفوقه أحد من جنسه في شيء من الفضائل "[٢].

أقسام الحسد:

قال النووي: " الحسد قسمان: حقيقي ومجازي.

أما الحقيقي: " تمني زوال النعمة عن صاحبها ، وهذا حرام بإجماع الأمة مع النصوص الصحيحة.

قال ابن رجب - رحمه الله -: " وهو شرهما وأخبثهما ، وهذا هو الحسد المذموم المنهي عنه، وهو ذنب إبليس حيث حسد آدم - عليه السلام - لما رآه

---

[١] تهذيب الأخلاق (٣٤) .

[٢] جامع العلوم والحكم، (ج٢/٢٦٠)..

قد فاق على الملائكة، بأن خلقه اللّه بيده، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء، وأسكنه في جواره، فما زال يسعى في إخراجه من حتى أُخرج منها"[١].

أما المجازي: فهو الغبطة، وهو أن يتمنى مثل النعمة التي على غيره من غير زوالها عن صاحبها، فإن كانت من أمور الدنيا كانت مباحة، وإن كانت طاعة فهي مستحبة"[٢].

وعن عبد اللّه بن مسعود ﵁ قال: قال رسول اللّه - ﷺ -: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه اللّه مالًا، فسلطه على هلكته في الحق. ورجل آتاه اللّه الحكمة، فهو يقضي بها، ويعلمها»[٣].

قال السعدي - ﵀ -: "وأعظم من يغبط: من كان عنده مال قد حصل له من حِلّه، ثم سُلّط ووفق على إنفاقه في الحق، في الحقوق الواجبة والمستحبة؛ فإن هذا من أعظم البرهان على الإيمان، ومن أعظم أنواع الإحسان.

ومن كان عنده علم وحكمة علمه اللّه إياها، فوفق لبذلها في التعليم

---

(١) جامع العلوم والحكم، (ج٢/٢٦٢)..

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي..

(٣) صحيح البخاري كتاب العلم باب الاغتباط في العلم والحكمة ١/ ٢٦.

والحكم بين الناس. فهذان النوعان من الإحسان لا يعادلهما شيء.

الأول: ينفع الخلق بماله، ويدفع حاجاتهم، وينفق في المشاريع الخيرية، فتقوم ويتسلسل نفعها، ويعظم وقعها.

والثاني: ينفع الناس بعلمه، وينشر بينهم الدين والعلم الذي يهتدي به العباد في جميع أمورهم: من عبادات ومعاملات وغيرها.

ثم بعد هذين الاثنين: تكون الغبطة على الخير، بحسب حاله ودرجاته عند اللّه. ولهذا أمر اللّه تعالى بالفرح والاستبشار بحصول هذا الخير، وإنه لا يوفق لذلك إلا أهل الحظوظ العظيمة العالية. قال تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس: ٥٨]، وقال: "﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٣٥﴾ [فصلت: ٣٤ -٣٥].

وقد يكون من تمنى شيئًا من هذه الخيرات، له مثل أجر الفاعل إذا صدقت نيته، وصمم عن عزيمته أن لو قدر على ذلك العمل، لَعَمِلَ مثله،

كما ثبت بذلك الحديث. وخصوصًا إذا شرع وسعى بعض السعي "[١].

بين الحسد والمنافسة:

إذا كان الحسد شدّة الأسى على الخيرات تكون للنّاس الأفاضل، فإنّه غير المنافسة، وربّما غلط قوم فظنّوا أنّ المنافسة في الخير هي الحسد، وليس الأمر على ما فظنوا؛ لأنّ المنافسة طلب التشبّه بالأفاضل من غير إدخال ضرر عليهم، والحسد مصروف إلى الضرر؛ لأنّ غايته أن يعدم الأفاضل فضلهم من غير أن يصير الفضل له، فهذا الفرق بين المنافسة والحسد، فالمنافسة إذن فضيلة لأنّها داعية إلى اكتساب الفضائل والاقتداء بأخيار الأفاضل، واعلم أنّه بحسب فضل الإنسان، وظهور النعمة عليه، يكون حسد الناس له، فإن كثر فضله كثر حسّاده، وإن قلّ قلّوا، لأنّ ظهور الفضل يثير الحسد، وحدوث النعمة يضاعف الكمد[٢].

قال معاوية - رضي الله عنه - : ليس في خصال الشرّ أعدل من الحسد، يقتل الحاسد قبل أن يصل إلى المحسود[«أدب الدنيا والدين (١٧٦)»].

المؤمن الكامل:

---

[١] بهجة قلوب الأبرار، السعدي، (ص١٢٣).

[٢] أدب الدنيا والدين للماوردي (٢٦٠-٢٢٦)، (١٧٦، ١٧٧)

قال ابن رجب - رحمه الله -: "إذا وجد من نفسه الحسد، سعى في إزالته وفي الإحسان إلى المحسود بإسداء الإحسان إليه، والدعاء له، ونشر فضائله، وفي إزالة ما وجِدَ في نفسه من الحسد حتى يبدله بمحبة أن يكون أخوه المسلم خير منه وأفضل، وهذا من أعلى درجات الإيمان، وصاحبه هو المؤمن الكامل الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[١].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا يجتمع في جوف عبد مؤمن غبار في سبيل الله وقيح جهنم ولا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد»[٢].

والحسد مُحبط للأعمال الصالحة فقد جاء عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: « إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، أو قال: العشب »[٣].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -: « سيصيب أمتي داء الأمم قالوا: يا نبي الله، وما داءُ الأمم؟ قال " الأشر، والبَطَر، والتكاثر، والتنافس في الدنيا، والتباغض، والتحاسد، حتى يكون البغي ثم الهرج

---

(١) جامع العلوم والحكم:٣/٩٧٢. .

(٢) صحيح ابن حبان، (ج١/٣٨٣)،رقم الحديث (٤٦٠٦)..

(٣) رواه أبوداود، رقم(٤٩٠٣)..

»[(١)].

من أقوال السلف:

قال عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه : «لا تُعَادوا نعم اللّه. قيل له: ومن يُعَادي نعم اللّه؟ قال: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤]

وقال معاوية - رضي الله عنه -: كلّ الناس أقدر على رضاه إلّا حاسد نعمة فإنّه لا يرضيه إلّا زوالها، ولذلك قيل:

كلّ العداوات قد ترجى إماتتها... إلّا عداوة من عاداك عن حسد[(٢)].

وقال الحسن: يا بن آدم لم تحسد أخاك؟

فإن كان الّذي أعطاه لكرامته عليه، فلم تحسد من أكرمه اللّه؟ وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار)[(٣)].

ومن الشعر قال منصور الفقيه:

---

(١) رواه الحاكم، (ج٤/١٦٨).صححه الحاكم ووافقه الذهبي..

(٢)[الإحياء للغزالي (٣/ ٢٠١)].

(٣)[الإحياء (٣/ ٢٠١)].

ألا قـل لمــن ظــل لي حاســدًا　　أتــدري عـلى مــن أســأت الأدب

أســـأت عــــلى الله في حكمـــه　　إذا أنـــت لم تــرض لي مـــا وهـــب

دواء الحسد:

الحسد يعالج بأمور هي له حسم، إن صادفها عزم، فمنها: اتّباع الدين في اجتنابه، والرجوع إلى اللّه عزّ وجلّ - في آدابه فيقهر نفسه على مذموم خلقها، وينقلها عن لئيم طبعها وإن كان نقل الطباع عسرا، لكن بالرّياضة والتدريج يسهل منها ما استصعب، ويحبّب منها ما أتعب.

ومنها: العقل الّذي يستقبح به من نتائج الحسد ما لا يرضيه، ويستنكف من هجنة مساويه. فيذلّل نفسه أنفة، ويطهّرها حميّة، فتذعن لرشدها، وتجيب إلى صلاحها.

وهذا إنّما يصحّ لدى النفس الأبيّة، والهمّة العليّة، وإن كان ذو الهمّة يجلّ عن دناءة الحسد.

ومنها: أن يستدفع ضرره، ويتوقّى أثره، ويعلم أنّ مكانته في نفسه أبلغ، ومن الحسد أبعد، فيستعمل الحزم في دفع ما كدّه وأكمده، ليكون أطيب نفسا وأهنأ عيشا. ومنها: أن يرضى بالقضاء، ويستسلم للمقدور، ولا يرى أن يغالب قضاء اللّه، فيرجع مغلوبا، ولا أن يعارضه في أمره، فيردّ محروما مسلوبا.

فإن أظفرته السعادة بأحد هذه الأسباب، واقتادته المراشد إلى استعمال الصواب، سلم من سقامه، وخلص من غرامه، واستبدل بالنّقص فضلا، واعتاض من الذمّ حمدا، ولمن استنزل نفسه عن مذمّة، وصرفها عن لائمة هو أظهر حزما، وأقوى عزما، ممّن كفته النّفس جهادها، وأعطته قيادها [1].

٢٩-الغيبة:

الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرت نقصانا في بدنه أو في لبسه، أو في خلقه، أو في فعله، أو في قوله، أو في دينه، أو في دنياه، أو في ولده، أو في ثوبه، أو في داره، أو في دابّته.

ولا تقتصر الغيبة على القول، بل تجري أيضا في الفعل كالحركة والإشارة والكناية، لما ورد عن عائشة - رضي الله عنها - أنّها أشارت بيدها إلى امرأة أنّها قصيرة فقال - ﷺ -: «اغتبتها» والتّصديق بالغيبة غيبة [2].

و عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول اللّه - ﷺ - قال: «**أتدرون ما الغيبة؟** قالوا: اللّه ورسوله أعلم. قال: « ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: « إن كان فيه ما تقول فقد

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (٢٦٢- ٢٦٤)، (١٧٦) وما بعدها.

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون (٣/ ١٠٩١).

اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته»[١].

الغيبة مُضّيعة للحسنات:

قال جعفر بن محمد: " إذ بلغك عن أخيك ما يسوؤك، فلا تغتم، فإنه إن كان كما يقول كانت عقوبة عُجِّلت، وإن كان على غير ما يقول كانت حسنةً لم تعملها "[٢].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: " لولا أنِّي أكره أن يُعصى اللّه، لتمنيت أن لا يبقى أحد في المصر إلا اغتابني! أي شيء أهنأ من حسنة يجدها الرجل في صحيفته لم يعمل بها؟ ! "[٣].

قال أبو عاصم: " منذ عقلت أنّ الغيبة حرام، ما اغتبت أحدًا قط.[نزهة الفضلاء، (ج٢/٨٣٦].

وقال البخاري: " ما اغتبت أحدًا قط منذ علمت أنّ الغيبة تضر أهلها.[نزهة الفضلاء، (ج٣/١٠١٦).[.

علاج الغيبة:

إنّ الغيبة مرض خطير، وداء فتّاك،

---

(١) صحيح مسلم، باب: تحريم الغيبة، (ج١ / ١٠٠)، رقم(٨٩)..

(٢) نزهة الفضلاء، (ج٢/٦٤٨)..

(٣) نزهة الفضلاء، (ج٢/٨١٧)..

ومعول هدّام، وسلوك يفرّق بين الأحباب، وبهتان يغطّي على محاسن الآخرين، وبذرة تنبت شرورا بين المجتمع المسلم، وتقلب موازين العدالة والإنصاف إلى الكذب والجور، وعلاج هذا المرض لا يكون إلّا بالعلم والعمل، فإذا عرف المغتاب أنّه تعرّض لسخط اللّه يوم القيامة بإحباط عمله وإعطاء حسناته من يغتابه أو يحمل عنه أوزاره، وأنّه يتعرّض لهجوم من يغتابه في الدّنيا، وقد يسلّطه اللّه عليه، إذا علم هذا وعمل بمقتضاه من خير فقد وفّق للعلاج.

قال عبد اللّه بن وهب: "نذرت أني كلما اغتبت إنسانًا أن أصوم يومًا فأجهدني، فكنت أغتاب وأصوم، فنويت أني كلما اغتبت إنسانًا أن أتصدق بدرهم، فمن حب الدراهم تركتُ الغيبة "[١].

متى تجوز الغيبة؟

قال النّوويّ - رحمه الله -:-

اعلم أنّ الغيبة تباح لغرض صحيح شرعيّ لا يمكن الوصول إليه إلّا بها، وهو ستّة أسباب:

الأوّل: المتظلّم، فيجوز للمظلوم أن يتظلّم إلى السّلطان والقاضي وغيرهما ممّن له ولاية، أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا.

---

(١) نزهة الفضلاء، (ج٢/٨١٩)..

<u>الثّاني:</u> الاستعانة على تغيير المنكر، وردّ العاصي إلى الصّواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فازجره عنه ونحو ذلك، ويكون مقصوده التّوصّل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراما.

<u>الثّالث:</u> الاستفتاء، فيقول للمفتي: ظلمني أبي، أو أخي، أو زوجي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك؟

وما طريقي في الخلاص منه، وتحصيل حقّي، ودفع الظّلم؟ ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكنّ الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص، أو زوج، كان من أمره كذا؟ فإنّه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك، فالتّعيين جائز.

<u>الرّابع:</u> تحذير المسلمين من الشّرّ ونصيحتهم.

وذلك من وجوه:

منها: جرح المجروحين من الرّواة والشّهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة.

ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان، أو مشاركته، أو إيداعه، أو معاملته، أو غير ذلك، أو مجاورته، ويجب على المشاور أن لا يخفي حاله، بل يذكر المساوىء الّتي فيه بنيّة النّصيحة.

ومنها: إذا رأى متفقّها يتردّد إلى مبتدع، أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرّر المتفقّه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد

النّصيحة، وهذا ممّا يغلط فيه. وقد يحمل المتكلّم بذلك الحسد، ويلبّس الشّيطان عليه ذلك، ويخيّل إليه أنّه نصيحة فليفطن لذلك.

ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها: إمّا بأن لا يكون صالحا لها، وإمّا بأن يكون فاسقا، أو مغفّلا، ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن عليه ولاية عامّة ليزيله، ويولّي من يصلح، أو يعلم ذلك منه، ليعامله بمقتضى حاله، ولا يغترّ به، وأن يسعى في أن يحثّه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مجاهرا بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة النّاس، وأخذ المكس، وجباية الأموال ظلما، وتولّي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلّا أن يكون لجوازه سبب آخر ممّا ذكرناه.

السّادس: التّعريف، فإذا كان الإنسان معروفا بلقب؛ كالأعمش والأعرج والأصمّ، والأعمى؛ والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك؛ ويحرم إطلاقه على جهة النّقص؛ ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى.

فهذه ستّة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه؛ ودلائلها من الأحاديث الصّحيحة مشهورة [١].

ثناء الناس لا يحبط العمل:

---

[١] انظر رياض الصالحين (٤٥٠- ٤٥١)، والزواجر لابن حجر الهيثمي (٣٨٣- ٣٨٤).

عن أبي ذر. قال: قيل لرسول الله - ﷺ -: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه؟ قال: « تلك عاجل بشرى المؤمن»[١].

قال النووي: " قال العلماء: معناه: هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل على رضاء الله تعالى عنه ومحبته له فيحببه إلى الخلق، ثم يوضع له القبول في الأرض، هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرُّض منه لحمدهم وإلا فالتعرُّض مذموم".

وقال الشيخ السعدي - رحمه الله - في كتابه بهجة قلوب الأبرار: " أخبر -ﷺ- في هذا الحديث: أن آثار الأعمال المحمودة المعجلة أنها من البشرى؛ فإن الله وعد أولياءه - وهم المؤمنون المتقون - بالبشرى في هذه الحياة وفي الآخرة.

و"البشارة" الخبر أو الأمر السار الذي يَعرف به العبد حسن عاقبته، وأنه من أهل السعادة، وأن عمله مقبول.

أما في الآخرة فهي البشارة برضى الله وثوابه، والنجاة من غضبه وعقابه، عند الموت، وفي القبر، وعند القيام إلى البعث يبعث الله لعبده المؤمن في تلك المواضع بالبشرى على يدي الملائكة، كم تكاثرت بذلك

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره،(٢٦٤٢).(١٩) .

نصوص الكتاب والسنة، وهي معروفة.

وأما البشارة في الدنيا التي يعجلها الله للمؤمنين؛ نموذجًا وتعجيلًا لفضله، وتعرفًا لهم بذلك، وتنشيطًا لهم على الأعمال فأعمها توفيقه لهم للخير، وعصمته لهم من الشر، كما قال -ﷺ-: "أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة"(١).

فإذا كان العبد يجد أعمال الخير ميسرة له، مسهلة عليه، ويجد نفسه محفوظًا بحفظ الله من الأعمال التي تضره، كان هذا من البشرى التي يستدل بها المؤمن على عاقبة أمره؛ فإن الله أكرم الأكرمين، وأجود الأجودين. وإذا ابتدأ عبد بالإحسان أتمه. فأعظم منة وإحسان يمن به عليه إحسانه الديني. فيُسرّ المؤمن بذلك أكمل سرور: سرور بمنة الله عليه بأعمال الخير، وتيسيرها؛ لأن أعظم علامات الإيمان محبة الخير، والرغبة فيه، والسرور بفعله. وسرور ثان بطمعه الشديد في إتمام الله نعمته عليه، ودوام فضله.

ومن ذلك ما ذكره النبي -ﷺ- في هذا الحديث: إذا عمل العبد عملًا من أعمال الخير - وخصوصًا الآثار الصالحة والمشاريع الخيرية العامة النفع، وترتب على ذلك محبة الناس له، وثناؤهم عليه، ودعاؤهم

---

(١) بهجة قلوب الأبرار: ١٩٤.

له - كان هذا من البشرى أن هذا العمل من الأعمال المقبولة، التي جعل اللّه فيها خيرًا وبركة.

ومن البشرى في الحياة الدنيا، محبة المؤمنين للعبد: لقوله تعالى: "﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم: ٩٦]

أي محبة منه لهم، وتحبيبًا لهم في قلوب العباد.

قال بعض أهل العلم: إذا اطلع الناس على عمل العبد فأعجبه رجاء أن يُعمل بعمله، فتكون له مثل أجورهم، فهذا لا باس به"

ومن ذلك الثناء الحسن؛ فإن كثرة ثناء المؤمنين على العبد شهادة منهم له. والمؤمنون شهداء اللّه في أرضه.

ومن ذلك الرؤيا الصالحة يراها المؤمن، أو تُرى له؛ فإن الرؤيا الصالحة من المبشرات.

ومن البشرى أن يقدر اللّه على العبد تقديرًا يحبه أو يكرهه. ويجعل

ذلك التقدير وسيلة إلى إصلاح دينه، وسلامته من الشر". [١]

وعن أبي هريرة - ﷺ - قال: - " قال رجل: يا رسول الله، الرجل يعمل العمل فيسره فإذا اطلع عليه أعجبه، قال: قال رسول الله - ﷺ -: «له أجران: أجر السر وأجر العلانية». [٢]

وقد فسر بعض أهل العلم هذا الحديث: " إذا اطلع عليه فأعجبه":

إنما معناه: أن يعجبه ثناء الناس عليه بالخير لقول النبي - ﷺ -: «أنتم شهداء الله في الأرض» فيعجبه ثناء الناس عليه لهذا.

فأما إذا أعجبه ليعلم الناس منه الخير ويُكرّم ويُعظّم على ذلك فهذا رياء.

٣٠- النميمة:

و هي نقل كلام بعض الناس لبعض؛ بقصد إفساد قلوبهم، وقطع صلاتهم، وذهاب موداتهم [٣].

---

(١) بهجة قلوب الأبرار للسعدي، ١٩٦.

(٢) سنن الترمذي، بواب الزهد عن رسول الله ، رقم (٢٤٩١). هذا حديث غريب..

(٣) لسان العرب: ١٤/٢٩٥.

وهي كالغيبة في التحريم بالنصّ و الإجماع. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم: ١١]، وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، أنّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا يدخل الجنّة نمّام»[متفق عليه] و في رواية: (قتات)، والمعنى واحد، و قيل [كما في فتح الباري]: الفرق بين القتات و النمام أن النمام الذي يحضر فينقلها، والقتات الذي يتسمع من حيث لا يعلم به ثم ينقل ما سمعه.

والنميمة تحلق الحسنات، وتأكلها، أي أنها تؤدي إلى إحباط العمل.

عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين قال: وفساد ذات البين هي الحالقة»[1].

أي أن الإفساد والسعي بين الناس بالنميمة يحلق الدين ويستأصله، وهذا دليل على حبوط العمل، فإن من حلق دينه تبعه حبوط لحسانته - والعياذ بالله -

علاج النميمة:

---

[1] أبو داود في الأدب، باب: إصلاح ذات البين (٤٩١٩) وكذا أحمد (٦/٤٤٤-٤٤٥)، والترمذي في: صفة القيامة (٢٥٠٩).

تعالج النّميمة بما تعالج به الغيبة، وهو إمّا إجمالي بأن يعلم النّمّام أنّه قد تعرّض بها لسخط اللّه تعالى وعقوبته وأنّها تحبط حسناته وبأن يتدبّر المرء في عيوبه ويجتهد في التّطهّر منها وأن يعلم أنّ تأذّي غيره بالغيبة أو بالنّميمة كتأذّيه بها فكيف يرضى لغيره ما يتأذّى به؟ وأمّا التّفصيليّ فيتلخّص في النّظر في بواعثها فتقطعها من الأصل؛ إذ علاج العلّة إنّما يكون بقطع سببها، وألّا يعتقد المرء في أخيه سوءا، وأن يبادر إلى التّوبة بشروطها [١].

كيف تتعامل مع النمام؟

قال الإمام الذّهبيّ: كلّ من حملت إليه نميمة وقيل له: قال فيك فلان، كذا وكذا لزمه ستّة أحوال:

الأوّل: ألّا يصدّقه؛ لأنّه نمّام فاسق، وهو مردود الخبر.

الثّاني: أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبّح فعله.

الثّالث: أن يبغضه في اللّه - عزّ وجلّ -، فإنّه بغيض عند اللّه، والبغض في اللّه واجب.

الرّابع: ألّا يظنّ في المنقول عنه السّوء لقوله تعالى: ﴿ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [الحُجُرات: ١٢].

---

(١) الزواجر (٣٩١).

الخامس: ألّا يحمله ما حكى له على التّجسّس والبحث عن تحقّق ذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾

السّادس: ألّا يرضى لنفسه ما نهى النّمام عنه، فلا يحكي نميمته [١].

٣١- الابتداع في الدين:

الابتداع لغة:

مصدر قولهم: ابتدع الشّيء يبتدعه، وهو مأخوذ من مادّة (ب د ع) الّتي تدلّ على معنيين:

أحدهما: ابتداء الشّيء وصنعه لا عن مثال، والآخر:

الانقطاع والكلال، ومن المعنى الأوّل قولهم: أبدعت الشّيء قولا أو فعلا، إذا ابتدأته لا عن سابق مثال، واللّه سبحانه - بديع السّموات والأرض أي مبدعهما، والعرب تقول: ابتدع فلان الرّكيّ (البئر) إذا استنبطها وأخرج ماءها، ومن المعنى الثّاني قولهم: أبدعت الرّاحلة: إذا كلّت وعطبت، وفي الحديث أنّ رجلا أتاه فقال: يا رسول اللّه، إنّي أبدع بي فاحملني، (أبدع بي أي كلّت ركابي)، ويقال: الإبداع لا يكون إلّا بظلع [٢] ومن ذلك اشتقّت البدعة، وقال ابن فارس: سمّيت البدعة بذلك؛

---

(١) الكبائر للذهبي (١٦١)، وانظر الزواجر لابن حجر (٣٩٦).

(٢) الظّلع والظّلع: الغمز في المشي من عرج ونحوه.

لأنّ قائلها ابتدعها من غير مقال إمام[١].

الابتداع اصطلاحا:

قال الجرجانيّ: الإبداع والإبتداع: إيجاد شيء غير مسبوق بمادّة ولا زمان[٢].

والبدعة: هي الفعلة المخالفة للسنّة [٣].

وقال الرّاغب: البدعة: إيراد قول لم يستنّ قائله وفاعله فيه بصاحب الشّريعة وأماثلها المتقدّمة وأصولها المتقنة [٤].

قال الشّاطبيّ - رحمه الله -: البدعة: طريقة في الدّين مخترعة تضاهي الشّرعيّة يقصد بالسّلوك عليها المبالغة في التّعبّد للّه - سبحانه -.

لا بد للمسلم في عبادته من أصلين:
أحدهما: إخلاص الدين لكله لله وحده لا شريك له.
والآخر: اتباع امر الله الذي بعث به الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما بينه رسول - صلى الله عليه وسلم -، والأمر الذي ينافي هذين الأصلين هو الابتداع والإختراع في الدين.

وقيل: طريقة في الدّين مخترعة تضاهي الشّرعيّة يقصد بالسّلوك عليها ما

(١)مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ٢٠٩) ، المجمل لابن فارس (١/ ١١٨) ، والمفردات للراغب (ص ٣٨) ، والصحاح للجوهري (٣/ ١١٨٣) ، ولسان العرب لابن منظور (١/ ٢٢٩) .

(٢)كتاب التعريفات (ص ٥) والمقصود هنا ابتداء الله الخلق.

(٣)المرجع السابق (ص ٤٤) .

(٤)المفردات (ص ٢٩) .

يقصد بالطّريقة الشّرعيّة [١].

أقسام البدعة:

إنّ الابتداع المنهيّ عنه يراد به: إحداث بدعة ضلالة، ذلك أنّ البدعة في اللّغة قد يراد منها مطلق إحداث أمر لم يكن موجودا على عهد رسول اللّه -ﷺ- ومن ثمّ قسّم الشّافعيّ - رحمه الله - البدعة إلى قسمين:

البدعة الضّالّة: ويراد بها ما أحدث وخالف كتابا أو سنّة أو إجماعا أو أثرا.

البدعة المحمودة: ما أحدث من الخير ولم يخالف شيئا من ذلك [٢].

والأصل في هذا ما روي عن عمر - رضي الله عنه - في قيام رمضان «**نعمت البدعة هذه**» ولهذا قال ابن الأثير: البدعة بدعتان:

بدعة ضلالة، وبدعة هدى، فما كان في خلاف ما أمر به اللّه ورسوله فهو البدعة الضّالّة الّتي هي مناط الذّمّ والإنكار، وما كان واقعا تحت عموم ما ندب اللّه إليه وحضّ عليه اللّه ورسوله فهو بدعة هدى، وهي في حيّز المدح، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلاف ما ورد الشّرع به، ومن ذلك قول عمر - رضي الله عنه - «**نعمت البدعة هذه**» لّما كانت

---

(١) الاعتصام (١/ ٣٧).

(٢) كشاف اصطلاحات الفنون (١/ ١٩١).

الجماعة في قيام رمضان من أفعال الخير وداخلة في حيّز المدح سمّاها بدعة ومدحها، لأنّ النّبيّ -ﷺ- لم يسنّها لهم، وإنّما صلّاها ثمّ تركها ولم يحافظ عليها، ولا جمع النّاس لها، ولا كانت في زمان أبي بكر وإنّما كان عمر - رضي الله عنه - هو الّذي جمع النّاس عليها، فبهذا سمّاها بدعة وهي في الحقيقة سنّة، لقوله -ﷺ- «عليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الرّاشدين من بعدي» وعلى هذا التّأويل يحمل الحديث الآخر «كلّ محدثة بدعة» إنّما يريد ما خالف أصول الشّريعة ولم يوافق السّنّة [١].

والابتداع مبطل للعمل محبط للأجر، وفي ذلك يقول الرسول -ﷺ-: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » [٢].

وفي رواية: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد».

هذا القول النبوي يُعد من أصول الإسلام، وقاعدة من قواعده بل هو شطر الدين.

فلذلك ينبغي أن يُعتنى بحفظه، واستعماله في إبطال البدع، وإشاعة الاستدلال به كذلك؛ لأنه صريح في رد كل البدع والمخترعات.

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ٩/٣٧٣٣ نقلا عن النهاية (١/ ١٠٦) (بتصرف واختصار) .

(٢) صحيح، أخرجه البخاري ،حديث (٢٦٩٧)، ومسلم، حديث (١٧١٨).

وفي الرواية الثانية زيادة وهي: أنه قد يعاند بعض المبتدعين فيقول: أنا لم أُحدث وإنما سبقت؛ فيحتج عليه بالرواية الثانية التي فيها التصريح برد كل المحدثات سواءً أحدثها الفاعل أو سبق بإحداثها والله اعلم.

قال ابن الصّلاح - رحمه الله -: العقوق المحرّم كلّ فعل يتأذّى به الوالد أو نحوه تأذّيا ليس بالهيّن مع كونه ليس من الأفعال الواجبة

[فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٠٦) ، ودليل الفالحين (٢/ ١٧٨)].

٣٢- عقوق الوالدين:

العق لغة:

العقّ مصدر عقّه يعقّه عقّا: شقّه. يقول الخليل: أصل العقّ الشّقّ. قال: وإليه يرجع العقوق.

والعقوق: قطيعة الوالدين، وكلّ ذي رحم. وفي الحديث «ذق عقق» أي ذق جزاء فعلك يا عاقّ، قاله بعضهم لحمزة - رضي الله عنه - وهو مقتول أراد ذق يا عاقّ قريبه.

وقال ابن منظور: عقّه يعقّه عقّا فهو معقوق، وعقيق: شقّه، وعقّ والده: شقّ عصا طاعته. وعقّ والديه: قطعهما ولم يصل رحمه منهما، وقد يعمّ لفظ العقوق جميع الرّحم (أي ذوي القرابة).

وفي الحديث: أنّه - ﷺ - نهى عن عقوق الأمّهات، وهو ضدّ البرّ، وأصله

مـن العـقّ: الشّـقّ والقطـع، وإنّمـا خـصّ الأمّهـات. وإن كـان عقـوق الآبـاء وغيرهم من ذوي الحقوق عظيما لأنّ لعقوق الأمّهات مزيّة في القبح [(١)].

عقوق الوالدين اصطلاحا:

هو صدور ما يتـأذّى بـه الوالـد مـن ولـده مـن قـول أو فعـل إلّـا في شـرك أو معصية ما لم يتعنّت الوالد.

قال كعب الأحبار - وقد سُئل عن عقوق الوالدين ما هـو؟ قـال: هـو إذا أقسم عليه أبوه أو أمّه لم يبرّ قسـمهما، وإذا أمـراه بـأمر لم يطـع أمرهمـا، وإذا سـألاه شيئا لم يعطهما، وإذا ائتمناه خانهما [(٢)].

وهذه لا شكّ بعض مظاهر العقوق، وقد بقيت مظاهـر أخـرى منهـا: إلحـاق الأذى بهما وسبّهما ونحو ذلك.

وقال ابن حجر: العقوق أن يحصل لهما أو لأحدهما إيذاء ليس بالهيّن عرفا [(٣)].

ولقد أمر اللّه ﷻ بعبادته وتوحيده، وجعل بر الوالدين مقرونا بـذلك في قولـــه ســـبحانه: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾

---

(١) مقاييس اللغة (٤/ ٥)، الصحاح للجوهري (٤/ ١٥٢٨)، ولسان العرب لابن منظـور (١٠/ ٢٥٦، ٢٥٧) (ط. بيروت) المصباح المنير (٤٢٢)، النهاية لابن الأثير (٣/ ٢٧٧).

(٢) الكبائر للذهبي (٤١).

(٣) الزواجر (٤٥٩).

[الإسراء: ٢٣].

كمات قرن شكرهما بشكره، فقال جل ثناؤه: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: ١٤].

وبر الوالدين هو موافقتهما قولا وفعلًا في أغراضهما الجائزة شرعًا، لكن طاعتهما لا تراعى في الشرك بالله، أو ركوب كبيرة، ولا ترك فريضة على الأعيان، وقد أمر الشارع الحكيم ببرهما، والإحسان إليهما، وحذّر من عقوقهما، والتنكر لفضلهما في التربية، وجعل هذه السخيمة من الكبائر، ومن مبطلات الأعمال.

قال - ﷺ -: «ثلاثة لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا: عاق، ومنان، ومكذب بالقدر» [1].

فليحرص المسلم على بر أبويه، والتودد إليهما، وخفض جناح الرحمة لهما، وبخاصة اذا بلغا الكبر.

وليتذكر العبد الصالح شفقة الأبوين وتعبهما في تربيته؛ ليزداد

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٧٥٤٧) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٣٢٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٦٥).

اشفاقا لهما، وحنانا عليهما.

٣٣-قطيعة الرحم:

القطيعة لغة:

هي الاسم من قولهم: قطع فلان كذا يقطعه، وهو مأخوذ من مادّة (ق ط ع) الّتي تدلّ على صرم وإبانة شيء من شيء، يقال: تقاطع الرّجلان، إذا تصارما وبعثت فلانة إلى فلانة بأقطوعة، وهي شيء تبعثه إليها علامة للصّريمة، والقطع: الطّائفة من اللّيل كأنّه قطعة، وقطعت الطّير قطوعا، إذا خرجت من بلاد الحرّ إلى بلاد البرد، أو من تلك إلى هذه، ويقولون لليائس من الشّيء: قد قطع به، كأنّه أمل أمّله فانقطع.
والقطع والقطيعة: الهجران ضدّ الوصل، ورجل قطوع لإخوانه ومقطاع: لا يثبت على مؤاخاة، وتقاطع القوم: تصارموا.
وتقاطعت أرحامهم: تحاصّت[1].

قطيعة الرحم اصطلاحا:

لم تذكر كتب الاصطلاحات قطيعة الرّحم مصطلحا ويمكن أن نعرّف ذلك في ضوء ما ذكروه عن صلة الرّحم وقطيعته فنقول:

---

[1] مقاييس اللغة (٥/ ١٠١)، ولسان العرب (٦/ ٣٦٧٤-٣٦٨٠)، وانظر الصحاح للجوهري (٣/ ١٢٦٦-١٢٦٩).

قطيعة الرّحم: هي أن يعقّ الإنسان أولى رحمه وذوي قرابته فلا يصلهم ببرّه ولا يمدّهم بإحسانه.

ويختلف ذلك بحسب حال القاطع والمقطوع، فتارة يكون ذلك بمنع المال، وتارة بحجب الخدمة والزّيارة والسّلام، وغير ذلك[١].

قطيعة الرّحم: هي أن يعقّ الإنسان أولى رحمه وذوي قرابته فلا يصلهم ببرّه ولا يمدّهم بإحسانه.

قال اللّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ①﴾ [النساء: ١]

يقول اللّه تعالى آمرا خلقه بتقواه، وهي عبادته وحده لا شريك له، ومنبهًا لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة، وهي آدم: وخلق منها زوجها وهي حواء خلقت من ضلعه الأيسر، وقوله: وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساء أي ذرأ منهما أي من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء، ونشرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وألوانهم ولغاتهم، ثم قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ أي اتقوا اللّه بطاعتكم إياه،

---

(١) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ١١/٥٣٣٠ .

واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ولكن بروها وصلوها، وقوله: تساءلون أي كما يقال: أسألك بالله وبالرحم، وقيل: تتعاقدون وتتعاهدون به.

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ -٢٣].

قال ابن جريج: المعنى فهل عسيتم إن توليتم عن الطاعة أن تفسدوا في الأرض بالمعاصي وقطع الأرحام.

وقال أبو العالية: المعنى فهل عسيتم إن توليتم الحكم فجعلتم حكاما، أن تفسدوا في الأرض بأخذ الرشا[١].

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم، قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ من القطيعة، قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك» ثم قال رسول الله: «اقرءوا إن شئتم»: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ -٢٣]. .

والرحم هم قرابة الرجل من طريق أبيه وأمه فتجب لهم الحقوق

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٦/٢٤٥.

الخاصة، من المحبة والنصرة وعدم القطيعة، والقيام بحقوقهم كتمريض المرضى، وحقوق الموتى، من غسلهم والصلاة عليهم، وغير ذلك من حقوق المسلمين، وزيادة على ذلك النفقة على المحتاج منهم، وتفقد أحوالهم، وترك التغافل عن تعاهدهم في أوقات ضروراتهم، حتى إذا تزاحمت الحقوق، بدأ بالأقرب فالأقرب.

وقد وردت السنة بتأكيد أهمية هذه العبادة، فمن ذلك ما رواه في الصحيح عن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - أن رجلا قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم»[1].

وفي الصحيح كذلك من حديث أنس - رضي الله عنه - قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأ له في أثره فليصل رحمه»[2].

وقوله: «يُنسأ له في أثره» أي يؤخر أجله وسمي الأجل أثرا لأنه يتبع العمر.

---

(١) رواه مسلم (١/١٧٢،١٧٣) الإيمان: باب بيان الإيمان الذي يدخل الجنة ومعنى ((أرب ماله)) أي حاجة جاءت به فدعوه.

(٢) البخاري (١٠/٤١٥) الأدب: باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم، ومسلم (١٦/١١٤) البر والصلة: باب صلة الرحم وتحريم قطعها ورواه أحمد والبخاري عن أبي هريرة.

والمعنى الجامع لصلة الرحم إيصال ما أمكن من الخير ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة، وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة، فإن كانوا كفارا أو فجارا فمقاطعتهم في الله هي صلتهم، بشرط بذل الجهد في وعظهم ثم إعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى.

وقد وردت الأحاديث كذلك بالوعيد الشديد لقاطع الرحم ففي الصحيحين أن جبير بن مطعم أخبر أنه سمع رسول الله -ﷺ- يقول: «لا يدخل الجنة قاطع» [1].

وعن أبي بكرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ- قال: «ما من ذنب أحرى أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم» [2].

قال الحجاوي: وقطيعة الرحم من الكبائر.

وفي الحديث يقول -ﷺ-: «ثلاثةٌ لا يكلّمهم الله يومَ القيامة ولا

---

[1] رواه البخاري (١٠/٤١٥) الأدب: باب إثم القاطع، ومسلم (١٦/١١٤) البر والصلة: صلة الرحم وتحريم قطعها.

[2] رواه ابن المبارك في الزهد (٧٢٤) والبخاري في الأدب المفرد (١٢) وأبو داود (٢/٣٠١،٣٠٢) والترمذي (٢/٨٣) وابن ماجة (٢/٥٥٢) والحاكم وأحمد وقال الترمذي: حسن صحيح.

يـزكّيهم ولهـم عـذابٌ ألـيم: مـدمِن خمـرٍ، وقـاطعُ الـرحِمِ، والمصـدِّق بالسّحر»[١].

أخرج الطبراني عن الأعمش قال: كـان ابـن مسـعود - رضي الله عنه جالسًا بعد الصبح في حلقة فقال: (أنشد اللّه قاطع رحم لما قام عنا ، فإنا نريد أن ندعو ربنا ، وإن أبواب السماء مرتجّة دون قاطع رحم)[٢] .

وروي كذلك في الآثار: (أن الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم، وأن الملائكة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم) [٣].

قـال الحـافظ في الفـتح: قـال الطـيبي يحتمـل أن يـراد بـالقوم الـذين يساعدونه على قطيعة الرحم ولا ينكرون عليه ويحتمل أن يراد بالرحمة

---

[١] أخرجه أحمد (٤/٣٩٩)، وأبو يعلى (٧٢٤٨)، والطبراني ــ كما في مجمع الزوائد (٥/٧٤) ــ من حديث أبي موسى رضي الله عنه بلفظ: ((ثلاثة لا يدخلون الجنة...)) ، وصححه ابـن حبـان (٦١٣٧)، والحـاكم (٧٢٣٤)، وأقره الذهبي، ولهذا الجزء شواهد كثيرة، ولذا قواه الألبـاني في صـحيح الترغيـب (٢٣٦٢، ٢٥٣٩). وفي الحديث زيادة لا تثبت، انظر: السلسلة الضعيفة (١٤٦٣) .

[٢] قال الهيثمي : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن الأعمش لم يدرك ابن مسعود – مجمع الزوائد (٨/١٥١) كتاب البر والصلة .

[٣] رواه البخاري في الأدب المفرد عن ابن أبي أوفي ، وأخرج البيهقي في شعب الإيمان وضعفه الألباني في ضعيف الجامع رقم ٤٦٣ .

المطر وأنه يحبسه عن الناس عموما بشؤم التقاطع[(١)].

واعلم أن المراد بصلة الرحم موالاتهم ومحبتهم أكثر من غيرهم لأجل قرابتهم، وتأكيد المبادرة إلى صلحهم عند عداوتهم، والاجتهاد في إيصالهم كفايتهم بطيب نفس عند فقرهم، والإسراع إلى مساعدتهم ومعاونتهم عند حاجتهم ومراعاة جبر خاطرهم، مع التعطف والتلطف بهم، وتقديمهم في إجابة دعوتهم، والتواضع معهم مع غناه وفقرهم وقوته وضعفهم ومداومة مودتهم ونصحهم في كل شؤونهم، والبداءة بهم في الدعوة الضيافة قبل غيرهم وإيثارهم في الصدقة والإحسان والهداية ونحوها، ويتأكد فعل ذلك مع الرحم الكاشح المبغض، عساه أن يرجع عن بغضه إلى مودة قريبه ومحبته.

وقد جاء في السنة ما يثبت صراحة على أن قطيعة الرحم تحبط العمل للعبد، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إن أعمال بني أدم تُعرض على الله تبارك وتعالى عشية كل خميس ليلة الجمعة، فلا يُقبل عمل قاطع رحم»[(٢)].

---

(١) فتح الباري (١٠/٤١٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢/٤٨٣، رقم ١٠٢٧٧)، قال المنذري (٣/٢٣٣)، والهيثمي (٨/١٥١): رجاله ثقات. والخرائطي في مساوئ الأخلاق (١١٤، رقم ٢٧٩). وأخرجه أيضًا: البخاري في الأدب المفرد (١/٣٥، رقم ٦١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/٢٢٤، رقم ٧٩٦٦)

من هم الأرحام؟

وبعد أن عرفنا أهمية صلة الرحم وخطورة قطعها، فقد يسأل سائل: من هم الأرحام الواجب صلتهم؟

يجب على كل زوج أنْ لا يمنع زوجته من صلة أرحامها، ومن فعل ذلك أثم أشد الإثم ولا يلزم الزوجة طاعته في ذلك، لأنَّ الطاعةَ في المعروف، ويمكنها أنْ تصل رحمها سرا إذا خشيت الضرر من زوجها.

فالأرحام ليس كما يظن بعض الناس أنهم أهل زوجتك، الأرحام جميع أقاربك من جهة الأب أو الأم، هؤلاء هم الذين يسمون الأقارب، فالآباء والأمهات والأجداد والجدات أرحام، والأولاد وأولادهم من ذكور وإناث وأولاد البنات كلهم أرحام، وهكذا الإخوة والأخوات وأولادهم أرحام، وهكذا الأعمام والعمات والأخوال والخالات وأولادهم أرحام، داخلون كلهم في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥] أما أقارب الزوجة فهم أصهار وليسوا بأرحام، وكذلك أقارب الزوج بالنسبة للمرأة أصهار وليسوا بأرحام، وإنما الأرحام أقاربك من جهة أبيك ومن جهة أمك، وهكذا أقارب المرأة من جهة أبيها ومن جهة أمها، هؤلاء هم الأرحام، أما أقارب زوجتك فهم أصهارٌ وليسوا بأرحام، وهكذا أقارب الزوج

بالنسبة للزوجة أصهار، وليسوا بأرحام والإحسان إليهم والصلة بهم أمرٌ مطلوب، ولكنهم ليسوا كالأرحام، فلو لم تزرهم لا تعتبر قاطعا لرحمك. بينما بر بعض الناس أصهارهم وعقوا أرحامهم وقالوا: كن نسيبا ولا تكن ابن عم.

واعلموا بأن الأرحام لهم حق خاص في التغاضي عن أخطائهم، ويُتحمل منهم ما لا يتحمل من غيرهم، فصلوا أرحامكم ولا تقطعوها لئلا تحبط أعمالكم، وعلموا أولادكم على ذلك، ومن صعب عليه الزيارة فليبل رحمه ولو بالسلام عبر الهاتف، فقد قال ﷺ: «بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلامِ»(١).

٣٤-قول الزور والعمل به:

الزور لغة:

الميل عن الحقّ، يقول ابن فارس: الزّاي والواو والرّاء أصل واحد يدلّ على الميل والعدول، من ذلك الزّور الكذب، لأنّه مائل عن طريقة الحقّ، ويقال:

زوّر فلان الشّيء تزويرا، وزوّر الشيء في نفسه: هيّأه، لأنّه يعدل به عن طريقة تكون أقرب إلى قبول السّامع.

(١) رواه الطبراني والبزار

وقيل للكذب زور لكونه مائلا عن جهته، والزّور أيضا: كلّ شيء يتّخذ ربّا، ويعبد من دون اللّه.

وزوّر نفسه: وسمها بالتّزوير، وزوّر الشّهادة أبطلها، والزّور مجالس اللهو. والزّور: شهادة الباطل وقول الكذب، ولم يشتقّ من تزوير الكلام، ولكنّه اشتقّ من تزوير الصّدر، وقيل: الزّور الكذب والباطل والتّهمة وزوّر الكلام زخرفه [١].

الزور اصطلاحا:

قال أبو هلال العسكريّ: "الزّور هو الكذب الّذي قد سوّي وحسّن في الظّاهر ليحسب أنّه صدق وهو من قولك: زوّرت الشّيء إذا سوّيته وحسّنته" [٢].

قال الحافظ ابن حجر: "وضابط الزّور وصف الشّيء على خلاف ما هو به: وقد يضاف إلى القول فيشمل الكذب والباطل، وقد يضاف إلى الشّهادة فيختصّ بها" [٣].

والشرك والكفر والباطل أيًا كان زور، ومجالس اللهو والعبث

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٣٦)، المفردات للراغب (٢١٧)، لسان العرب (٤/ ٣٣٦- ٣٣٧). وانظر المصباح المنير (١/ ٩٩). ومختار الصحاح (٢٧٨). والنهاية في غريب الحديث (٢/ ٣١٨)

(٢) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ١٠/٤٧٧٦.

(٣) فتح الباري (٥/ ٤٢٦).

والفاحشة زور كذلك، أما شهادة الزور فمنها حضور كل مجلس يجري فيه ما لا يجوز شرعًا أو مروءة، لأن مجرد مشاهدة هذه المجالس أو حضورها اشتراك فيها وإقرارٌ لها ورضًا بها، يقول تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام ٦٨]، ويقول تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج: ٣٠]، ومنها أيضا تزوير الحقائق وقلبها عند تأدية الشهادة إن احتيج إليها، وهو ما رواه البخاري في صحيحه، قال عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم -: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ» ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ»، وجَلَسَ وكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: «أَلَا وقَوْلُ الزُّورِ»، قَالَ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ». لماذا؟ لأن شهادة الزُّور تهدم كُلَّ قضايا الحق في المجتمع، والآية بهذا تحرم الزور قولًا وفعلًا وسماعًا ومشاهدة وشهادة، وتنزه المؤمن عن مخالطة الشر وأهله، وتصون دينه عما يثلمه ويشينه.

وقول: الزور محبط للعمل والدليل قول رسول اللّه - صلى الله عليه وسلم -: « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس للّه حاجة أن يدع طعامه وشرابه »[1]، وفي

---

[1] رواه البخاري (٤/١٦) ورواه أبو داود (٦/٤٨٨) في الصوم باب الغيبة والترمذي (٣/٢٢٦).

الحديث دلالة على أن قول الزور والعمل به يبطل ثواب الصوم. وإنما ذكر رسول اللّه - ﷺ - هذا إعلامًا لمن فعله أن اللّه سبحانه قد بلغ غضبه على شاهد الزور إلى ألا يراه معدودًا في الصائمين.

٣٥-اقتناء الكلب إلا كلب ماشية أو زرع أو صيد:

عن ابن عمر - رضي الله عنه -قال: سمعتُ رسُولَ اللّهِ - ﷺ - يقولُ: «مَنِ اقْتَنَى كَلْبًا إلا كَلْبَ صَيْدٍ أوْ مَاشِيَةٍ فَإنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أجْرِهِ كُلَّ يَومٍ قِيرَاطَانِ»(١).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ - ﷺ -: « مَنْ أَمْسَكَ كَلْبًا، فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ عَمَلِهِ كُلَّ يَوْمٍ قِيرَاطٌ، إلّا كَلْبَ حَرْثٍ أَوْ مَاشِيَةٍ »(٢).

وفي رواية لمسلم: «مَنْ اقْتَنَى كَلْبًا لَيْسَ بِكَلْبِ صَيْدٍ، وَلا مَاشِيَةٍ وَلا أَرْضٍ، فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أجْرِهِ قِيرَاطَانِ كُلَّ يَوْمٍ».

قال ابن عبد البر: "في هذا الحديث إباحة اتخاذ الكلاب للصيد والماشية، وكذلك الزرع، وكراهة اتخاذها لغير ذلك، إلا أنه يدخل في

---

(١)أخرجه مالك "٢/٩٦٩" ، والبخاري "٦٠٨/٩" ، ٥٤٨٠" ومسلم "١٢٠١/٣" ، والنسائي "١٨٨/٧" ، وأحمد "٨/٢"..

(٢)متفق عليه.

معنى الصيد وغيره مما ذكر اتخاذها، لجلب المنافع ودفع المضار قياسًا، فتتمحض كراهة اتخاذها لغير حاجة، لما فيه من ترويع الناس وامتناع دخول الملائكة لِلْبَيْتِ الذي هو فيه.

واختلفوا في سبب النقص، فقيل: امتناع الملائكة من دخول بيته، أو ما يلحق المارين من الأذى، أو ذلك عقوبة لهم لاتخاذهم ما نهى عن اتخاذه، أو لكثرة أكله للنجاسات، أو لكراهة رائحتها، أو لأن بعضها شيطان، أو لولوغه في الأواني عند غفلة صاحبها.

واختلف في الأجر الذي ينقص: هل هو من العمل الماضي أو المستقبل؟ حكى الروياني هذا، وقال ابن التين: "المراد به أنه لو لم يتخذه لكان عمله كاملا، فإذا اقتناه نقص من ذلك العمل، ولا يجوز أن ينقص من عمل مضى، وإنما أراد أنه: ليس عمله في الكمال عمل من لم يتَّخذ" انْتهى[1].

"و يحتمل أن تكون العقوبة تقع بعدم التوفيق للعمل بمقدار قيراط مما كان يعمله من الخير لو لم يتخذ الكلب ويحتمل أن يكون الاتخاذ حراما والمراد بالنقص أن الإثم الحاصل باتخاذه يوازي قدر قيراط أو قيراطين من أجر فينقص من ثواب عمل المتخذ قدر ما يترتب عليه من

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري:١٢/١٥٧.

الإثم باتخاذ وهو قيراط أو قيراطان[١].

واليوم بعض المترفين ممن يفخرون بتقليد الغرب نجدهم يشترون الكلاب بأغلى الأثمان، ويضعونها في بيوتهم، وترافقهم في مجالسهم، لا شك أن هذا الأمر لا يجوز، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «لَوْلَا أَنَّ الكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا كُلِّهَا»[٢].

فبعض هذه الأسر تراها تنفق المال الكثير في تنظيف هذه الكلاب، وإطعامها وعلاجها؛ بينما تراها تبخل على نفسها أن تدفع هذا المبلغ في كفالة يتيم أو أسرة فقيرة.

فليحذر هؤلاء الناس أن يحبط من أعمالهم كل يوم قدر قيراط من الأجر، إلا ما استثناه الشرع وهو كلب ماشية أو صيد أو زرع، فإنه لا حرج في اتخاذ هذه الأنواع من الكلاب بشرط أن لا توضع داخل البيوت، وإنما خارجها؛ لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب أو صورة كما جاء عن النبي -ﷺ-.

٣٦-المرأة الناشز حتى ترجع إلى طاعة زوجها:

---

(١) فتح الباري:٥/٦.

(٢)رواه الترمذي والنسائي.

قال الشوكاني :"إن اغضاب المرأة لزوجها حتى يبيت ساخطًا عليها من الكبائر. وهذا إذا كان غضبه عليها بحق [نيل الأوطار:٣/٢١١].

عن ابن عمر - رضي الله عنه - قال: قال رسول اللّه - ﷺ -: « اثنان لا تجاوز صلاتهما رؤوسهما : عبد ابق من مواليه حتى يرجع اليهم، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع»[١].

قال المهلب: هذا الحديث يوجب أن منع الحقوق في الأبدان كانت أو في الأموال مما يوجب سخط اللّه إلا أن يتغمدها بعفوه، وفيه جواز لعن العاصي المسلم إذا كان على وجه الإرهاب عليه لئلا يواقع الفعل فإذا واقعه فإنما يدعى له بالتوبة والهداية[٢].

ويؤخذ من الحديث: تحريم امتناعها من فراشه لغير عذر شرعي، أما لو بدأ هو بهجرها ظالمًا لها فهجرت فلا يقع عليها هذا الوعيد[٣].

قال القاري: هذا إذا كان السخط لسوء خلقها أو سوء أدبها أو قلة

---

[١] أخرجه الحاكم (١٧٣/٤) والطبراني في الصغير (١٧٢/١).

[٢] فتح الباري:٩/٢٩٤.

[٣] فتح المنعم شرح صحيح مسلم:٥/٥٨٤.

طاعتها. أما إن كان سخط زوجها من غير جرم فلا إثم عليها[١].

ولا ينبغي للزوج صاحب المروءة أن يكون ديدنه تهديد زوجته بمثل هذه الأحاديث، أو أن يبيت ساخطا عليها، لئلا يذهب عليها أجر صلاتها، وإنما عليه المسارعة بالرضا عنها من داخل قلبه، وإن لم يُظهر لها ذلك، فهي لا تزال أم عياله، وقطعة من فؤاده، وشريكتهُ في الحياة، يرجو صلاحها.

٣٧-من أم قوم وهم له كارهون:

عن أبي أمامة - رضي الله عنه - قال: قَالَ رسولُ اللّه - ﷺ -: «ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم: العبد الآبق حتى يرجع، وامرأة باتت زوجها عليها ساخط، وإمام قوم وهم له كارهون»[٢].

قال الترمذي في سننه (٢/١٩٢):

" وقد كره قوم من أهل العلم أن يؤم الرجل قومًا وهم له كارهون، فاذا كان الإمام غير ظالم؛ فإنما الإثم على من كرهه".

وبهذا يتبين أن الأمر ليس مرهون بأمزجة وأهواء المصلين، وإنما

---

(١) تحفة الأحوذي: ٢/٢٨٨.

(٢) صحيح لغيره أخرجه الترمذي (٣٦٠) وقال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

مرهون باتباع السنة أو مخالفتها.

«ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم» أي لا ترفع إلى السماء وهو كناية عن عدم قبولها.

قوله: «وإمامُ قومٍ وهمْ له كارهون»، وهذا فيما إذا كان القومُ كَرِهُوا الإمامَ لبدعته، أو فِسْقِه، أو جَهْلِه بالإمامة، أمَّا إذا كان بينهم وبينه كراهةٌ وعداوةٌ بسببِ شيءٍ دنيوي لا يكونُ للإمام هذا الحكمُ[١].

٣٨-هجر المسلم لأخيه المسلم دون عذر شرعي:

الهجر لغة:

مصدر قولهم: هجر الشّيء يهجره، وهو مأخوذ من مادّة (هـ ج ر) الّتي تدلّ على القطيعة [٢]، ومن هذا: الهجر ضدّ الوصل وكذلك الهجران، قال ابن منظور: يقال: هجره يهجره هجرا وهجرانا: صرمه. وهما يهتجران ويتهاجران والاسم الهجرة: والتّهاجر: التّقاطع. وهجر الشّيء وأهجره: تركه[٣].

الهجر اصطلاحا:

---

(١) المفاتيح في شرح المصابيح:٢/٢٣٦.

(٢)لهذه المادة معنى آخر هو شد الشيء وربطه. انظر المقاييس (٦/ ٣٤) .

(٣)لسان العرب لابن منظور (٥/ ٢٥٠- ٢٥٢) .

قال المناويّ: الهجر والهجران: مفارقة الإنسان غيره. إمّا بالبدن. أو اللّسان. أو القلب [١].

الفرق بين التّهاجر والتّدابر والتّشاحن:

قال ابن حجر:

التّهاجر: أن يهجر المسلم أخاه فوق ثلاثة أيّام لغير غرض شرعيّ.

والتّدابر: هو الإعراض عن المسلم بأن يلقى أخاه فيعرض عنه بوجهه.

والتّشاحن: هو تغيّر القلوب المؤدّي إلى التّهاجر والتّدابر [٢].

وقد جاءت أحاديث تدل على أن الهجر مُحبط للعمل ومنها ما جاء عَن ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما، عَن رَسُول اللّه ﷺ قَالَ: « ثَلَاثَة لَا تُرفع صلَاتهم فَوق رؤوسهم شبْرًا: " رجل أم قوما وهم لَهُ كَارِهُون، وامْرَأَة باتت وزوجهَا عَلَيْهَا سأخط، وأَخَوَان متصارمان » [٣].

و عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول اللّه - ﷺ - قال: «تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك باللّه شيئا، إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف (٢٤٢).

(٢) الزواجر (٤١٨).

(٣) رَوَاهُ ابْن ماجة بِإِسْنَاد حسن، (١/ ٣١١: ٩٧١).

يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا ، أنظروا هذين حتى يصطلحا[١].

قال الباجي: " معنى فتح أبوابها: كثرة الصفح والغفران في هذين اليومين، ورفعة المنازل، وإعطاء الجزيل من الثواب، ويحتمل أن يكون على ظاهره، وأن فتح أبوابها علامة على ذلك ودليل عليه[٢].

«فيُقال انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا» كررت الجملة للتأكيد والإنظار التأخير والمراد تأخير النظر في المغفرة لهما وهذا إذا اشتركا في غرسها وفي عدم محاولة إزالتها فإن كان غرسها من جانب واحد كمن يبغض ويعادي عالمًا لعلمه، أو صالحًا لصلاحه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر أو اشتركا في غرسها لكن حاول أحدهما إزالتها وبذل وسعه في الإصلاح فلم يفلح فالظاهر أن يتوجه الوعيد للطرف الآخر[٣].

---

(١) صحيح، أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب – باب النهي عن الشحناء والتهاجر، حديث (٢٥٦٥)..

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم:١٦/١٢٣.

(٣) فتح المنعم شرح صحيح مسلم: ١٠/٢٥.

وجاء عن أبي أيّوب الأنصاريّ - رضي الله عنه - أنّ رسول اللّه - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا يحلّ لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الّذي يبدأ بالسّلام»[(١)].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول اللّه - صلى الله عليه وسلم -: «لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النّار»[(٢)].

عن عائشة - رضي الله عنها - أنّ رسول اللّه - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا يكون لمسلم أن يهجر مسلما فوق ثلاثة، فإذا لقيه سلّم عليه ثلاث مرار كلّ ذلك لا يردّ عليه فقد باء بإثمه»[(٣)].

وعن أبي خراش السّلميّ - رضي اللّه عنه - أنّه سمع رسول اللّه - صلى الله عليه وسلم - يقول: «من هجر أخاه سنة، فهو كسفك دمه»[(٤)].

٣٩-من ادعى إلى غير أبيه:

عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم -: « من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة اللّه والملائكة والناس

---

(١)البخاري- الفتح ١٠ (٦٠٧٧) واللفظ له. مسلم (٢٥٦٠)

(٢)أبو داود (٤٩١٤) وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٢٨) : صحيح.

(٣)أبو داود (٤٩١٤) وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٢٨) : حسن.

(٤)أبو داود (٤٩١٣) وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣/ ٩٢٨) : حسن.

أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلا»[١].

"(ومن ادعى) أي انتسب (إلى غير أبيه) المعروف (أو انتمى) وانتسب (إلى غير مواليه) أي أسياده بأن قال معتق لغير معتقه: والادعاء والانتماء في الحديث كلاهما بمعنى الانتساب ففي الكلام تفنن، قال النووي: وهذا صريح في غلظ تحريم انتماء الإنسان إلى غير أبيه، أو انتماء العتيق إلى ولاء غير مواليه؛ لما فيه من كُفر النعمة وتضييع حقوق الإرث والعقل وغير ذلك مع ما فيه من قطيعة الرحم والعقوق "[٢].

قوله: "لا يقبل منه صَرْفٌ ولا عَدْل"، (الصَّرْفُ): النافلة، و (العَدْل): الفريضة، والمراد منه: نفي الكمال، وقيل: (الصرف): التوبة، و (العَدْل): الفداء.

يعني: لا تقبل منه التوبة والفداء بعد الموت، وأما قبل الموت تقبل التوبة والفداء، ويريد بالفداء: جزاء الصيد والشجر، أو التصدق والإعتاق؛ ليحصل له الثواب، فيدفع بالحسنة السيئة[٣].

---

[١] أخرجه البخاري ٥٤٦/١٣ - ، ومسلم ٣٢٨/١ - وأخرجه أحمد ٤٦/٥، وأبو داود ٣٣٠/٤، وابن حبان في صحيحه ١٦٠/٢ ، والبيهقي في السنن الكبرى ٤٠٣/٧، من حديث سعد..

[٢] الكوكب الوهاج:١١٥/١٥.

[٣] المفاتيح في شرح المصابيح:٣٦٥/٣.

٤٠-العبد الآبق:

يقال: آبق وشارد، آبق للعبد، وشارد للبعير، تقول: شرد البعير، وأبق العبد، والآبق: هو الهارب، قال تعالى: ﴿إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ١٤٠﴾ [الصافات: ١٤٠]، فالآبق والشارد بمعنى واحد، إلا أنه اصطلح على إطلاق الآبق في الإنسان، والشارد في البعير وغيره(١).

عن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إِذَا أَبَقَ الْعَبْدُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ، وَإِنْ مَاتَ مَاتَ كَافِرًا» قال: فأبق غلام لجرير فأخذه فضرب عنقه»(٢).

المراد إذا هرب عن مواليه، ونفي القبول، قد يُراد به عدم الصحة والإجزاء(٣).

ونسبة الكفر للعبد الآبق مؤولة كما في الحديث السابق، وأما عدم قبول صلاته فقد أوله الإمام المازري والقاضي عياض بأنه محمول على المستحل للإباق، فيكفر، ولا تقبل له صلاة ولا غيرها من أعمال الطاعات، إذ ذكر الصلاة تنبيه بها على غيرها.

---

(١)شرح بلوغ المرام، للشيخ عطية بن محمد سالم، المكتبة الشاملة .

(٢) رواه النسائي (٧/ ١٠٢).

(٣) التَّنويرُ شَرْحُ الجَامِع الصَّغِيرِ: ١/ ٤٨٨.

وأول الشيخ أبو عمرو بن الصلاح بأن عدم القبول معناه عدم الثواب، ولا يلزم من عدم القبول عدم الصحة. فصلاة الآبق صحيحة غير مقبولة، لاقترانها بمعصية، فيسقط بها القضاء، ولا تستحق ثوابًا، كالصلاة في الدار المغصوبة.

والتحقيق أنه ينبغي أن تصح ويحصل على فعلها الثواب، لكن المعصية المقارنة لفعل الطاعة يعدل إثمها ثواب الفعل، فكأنه لا ثواب عليه[1].

والله أعلم.

٤١-الخروج على جماعة المسلمين:

قال النبي - ﷺ -: « مَنْ فارقَ الجماعةَ قدرَ شبرٍ فقد خَلَعَ ربقةَ الإسلامِ مِن عنقِهِ إلّا أَن يراجعَ، ومَنْ ادّعى دعوَى الجاهليةِ فإنَّهُ مِنْ جثي[2] جهنَّمَ" فقال رجل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ قال: "وإنْ صلّى وصامَ، فادعُوا بدعوى اللهِ الذي سماكُمْ المسلمينَ المؤمنينَ عبادَ الله»[3].

أَرَادَ «بربقة الْإِسْلَام»: عقد الْإِسْلَام، وَأَصله أَن الربق حَبل فِيهِ عدَّة

(١)فتح المنعم شرح صحيح مسلم، ١/٢٣٩.

(٢)الجثى: جمع جثوة وهو الشيء المجموع. وقال بعض شراح الحديث حثاء جهنم.

(٣)الترمذي (٢٨٦٣) وقال: حديث حسن صحيح غريب. ابن خزيمة (٣/ ١٩٥) . وابن منده في الإيمان (١/ ٣٧٦، ٣٧٧) حديث (٢١٢) . وفيه (ربقة) بفتح الراء، وقد ورد فيها الكسر والفتح، والكسر أشهر وأوضح..

عرى يشد بهَا (الْغنم) (الْوَاحِدَة) من العُرى ربقة[١].

ومعناه: من فارق ما عليه الجماعة بترك السنة واتباع البدعة ونزع اليد عن طاعة الإمام الذي اجتمع عليه المسلمون ولو كان بشيء يسير يقدر بقدر شبر فقد خلع ربقة الإسلام عن عنقه أي نزع ما يشد به المسلم نفسه من عرى الإسلام أي حدوده وأحكامه وأوامره ونواهيه، كذا قال المباركفوري في شرح سنن الترمذي[٢].

قال الخطابي: من خرج عن طاعة إمام الجماعة أو فارقهم في الأمر المجتمع عليه فقد ضل وهلك.

وقال صاحب عون المعبود: " معناه: من فارق جماعة المسلمين وخرج عليهم فإنه يكون بذلك قد ضل وتاه والربقة ما يوضع في رقبة البعير من أجل حفظه وربطه به أو تربط الدابة به حتى لا تذهب وتضيع، وإذا انفلتت تلك الربقة التي ربطت بها فإنها تضيع وتذهب عن صاحبها، فيكون الذي خرج من الجماعة بمثابة تلك الدابة التي كانت محاطة بسياج الجماعة، ولما خرجت صارت عرضة للضياع وللتلف، وهذا لا يدل

---

[١] البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار،٨/٥٢٧.

(٢) (٨،١٣١).

على الكفر ولكن يدل على أن من خرج وقاتل فإنه يستحق أن يقاتل. أما من شذ وخرج عن جماعة المسلمين بتكوينه جماعة أو حزباً فإنها تعمل الاحتياطات التي تمنع من شره. انتهى.

والخروج على ولي الأمر، وجماعة المسلمين المحذر منه ما كان بالسلاح والعنف، أما ما كان من نصيحة لولي الأمر بالحكمة والموعظة الحسنة فليس خروجا البتة.

٤٢-من صلى على جنازة قبل الجماعة:

عن عطاء بن دينار الهذلي: أن رسول اللّه - ﷺ -قال: «ثلاثة لا تقبل منهم صلاة، و لا تصعد إلى السماء، و لا تجاوز رؤوسهم، رجل أم قوما و هم له كارهون، و رجل صلى على جنازة و لم يؤمر، و امرأة دعاها زوجها من الليل فأبت عليه»[١].

فإن أولى الناس بالصلاة على الميت أقاربه ومن أوصى بالصلاة عليه بعد موته، وذلك عند غياب الوالي أو نائبه، على خلاف بين أهل العلم في ذلك؛ لذلك لا ينبغي لأحد أن يتسرع في إمامة أي جنازة حتى يأذن أولياء الميت، وهذا الحكم خاص عند الصلاة على الميت لأول مرة، أما عند تكرار الصلاة عليه من جماعات أخرى متأخرة فلا يضر من يصلي عليه.

---

(١)صحيح ابن خزيمة، وصححه الألباني ،رقم الحديث ٦٥٠.

٤٣-امتناع المرأة عن فراش زوجها:

عن عطاء بن دينار الهذلي - رضي الله عنه -: أن رسول الله - ﷺ - قال: «ثلاثة لا تُقبل منهم صلاة، و لا تصعد إلى السماء، و لا تجاوز رؤوسهم، رجل أم قوما و هم له كارهون، و رجل صلى على جنازة و لم يؤمر، و امرأة دعاها زوجها من الليل فأبت عليه»[(١)].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه -:
عن النبيّ - ﷺ -قال: "إذا باتتِ المرأةُ هاجرةً فراشَ زوجها باتت تلعَنُها الملائكةُ"[(٢)].

وهذا وعيد شديد يقول العلماء -رحمهم الله - إنه من كبائر الذنوب عصيان المرأة لزوجها في فراشه؛ والسبب في هذا أن الرجل إذا لم تحافظ الزوجة على إعفافه وإحصانه عن الحرام ما يؤمن منه أن يقع في الحرام، ومن هنا عظم الشرع عصيانها وتمردها في مثل هذه الأمور ولأن المقصود من الزوجية أن تبذل المرأة كل الأسباب وكل ما في وسعها لإعفاف زوجها عن الحرام، حتى قال بعض العلماء: كما أن المرأة نهيت

---

(١) سبق تخريجه

(٢)المسند ١٢/ ٤٣٩ (٧٤٧١)، ومن طريق شعبة في البخاري ٩/ ٢٩٤ (٥١٩٤)، ومسلم ٢/ ١٠٥٩ (١٤٣٤).

عن عصيان زوجها إذا دعاها إلى الفراش فإنَّها إذا تعاطت بعض الأسباب التي تنفر الزوج منها كأَن لا تعتني بجمالها و لا تعتني بنظافة نفسها ، ولا تعتني بتهيئة نفسها لزوجها فإنَّها لا تخلو من الإثم، خاصة إذا قصدت ذلك وعنته فلما أمر -عليه الصلاة والسلام - المرأة لأن الأصل أن المرأة تطيع زوجها وهذا هو حال الصالحات القانتات وما زال حال المسلمات من لدن عصر النبي - ﷺ - على السمع والطاعة والشعور بالقوامة للرجل حتى حصل التمرد فيمن خلف بعدهم ممن اتبع الشهوات، وعصى فاطر الأرض والسموات وتنكر للفطرة وخرج عن المنهج السوي وشابه من لا خلاق له من أعداء الإسلام، فأصبحت المرأة تسول لها نفسها بعصيان الزوج وتسول لها نفسها أنَّها متى استسلمت لبعلها فإنها ذليلة وأنَّه لا كيان لها ولا قيمة لها ، وكل ذلك مما لبس به أعداء اللّه ورسوله - ﷺ - على المسلمات، واللّه - - عز وجل - أمر المؤمنة بطاعتها لزوجها ولابد للمرأة أن تشعر بذلك وأن تحس أنَّ صلاح بيتها واستقامته موقوف على كمال استقامتها ، وهذا الكمال من الأنوثة يقتضي منها أن تعلم أن الفطرة أن تتهيأ لزوجها ، وأن تهيئ له الأسباب التي تحفظه بها عن الحرام خاصة في الأزمنة التي تكثر بها الفتن وتعظم فيها الفتن، وتتعاطى الأسباب التي تعف زوجها كذلك عن نظر الحرام وتعف زوجها

عن الوقوع في الحرام فإنَّها إن فعلت ذلك صلحت وأصلحت غيرها وكان ذلك سببًا في رضوان اللّه عليها[١].

٤٤-إسخاط الزوج:

عَن ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما، عَن رَسُول اللّه- ﷺ -قَالَ: «ثَلَاثَة لَا ترفع صلَاتهم فَوق رؤوسهم شبْرًا: " رجل أم قوما وهم لَهُ كَارِهُون، وامْرَأَة باتت وزوجهَا عَلَيْهَا ساخط، وأَخَوَانِ متصارمان »[٢].

«وَامْرَأَة باتت وَزوجهَا عَلَيْهَا ساخط» لأمر شَرْعِي بِخِلَاف مَا لَو سخط عَلَيْهَا بِنَحْوِ عدم تمكينها لَهُ من الْوَطْء فِي دبرهَا[٣].

ولأنها بإسخاطه أغضبت اللّه تعالى، فعوقبت بعدم قبول صلاتها.

وكما أن طاعة الزوج سبيل إلى الجنة، ورد ذلك في حديث أم سلمة رفعته: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة"[٤].

---

[١] شرح الترمذي، الشيخ محمد المختار الشنقيطي.

[٢] سبق تخريجه.

[٣] التيسير بشرح الجامع الصغير: ٤٧٧/١.

[٤] الترمذي (١١٦١) ورواه أيضًا ابن ماجه (١٨٥٤).

ومنها: حديث الزبير بن عدي، عن أنس يرفعه: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وأطاعت زوجها، وحفظت فرجها دخلت الجنة» [(١)].

فكذلك اذا اسخطته، فإن الملائكة تلعنها.

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبانًا عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح»[(٢)].

٤٥-خفر ذمة المسلم:

عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: «ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أَخْفَرَ مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا»[(٣)].

الإخفار نقض العهد.

يقال: خفرت الرجل إذا أمنته، وأخفر الرجل صاحبه: إذا نقض العهد،

---

(١)رواه البزار كما في "كشف الأستار" (١٤٦٣، ١٤٧٣) وابن عدي ٤/ ١١٥، قال البزار: لا نعلمه عن أنس بهذا اللفظ مرفوعًا إلا عن الزبير، ولا عن الزبير إلا عن الثوري، ولا عنه إلا رواد، ورواد صالح الحديث ليس بالقوي، حدث عنه جماعة من أهل العلم اهـ.

(٢)سبق تخريجه.

(٣)أخرجه البخاري (١٨٧٠) و (٣١٧٢) و (٣١٧٩) و (٦٧٥٥)، ومسلم (١٣٧٠) (٤٦٧).

وختر بالذمة.

قال المهلب: وقوله « فمن اخفر مسلمًا » يعني: فيمن أجاره فعليه لعنة الله والملائكة. وهذا اللعن وسائر لعن المسلمين إنما هو متوجه إلى الإغلاظ والترهيب لهم عن المعاصي، والإيعاد لهم من قبل مواقعتها، فإذا وقعوا فيها دعي لهم بالتوبة. ، يبين هذا حديث النعمان. وقوله: (لا يقبل منه صرف ولا عدل) يعني: في هذه الجناية أي لا كفارة لها؛ لأنه لم يشرع فيها كفارة فهي إلى أمر الله إن شاء عذب فيها وإن شاء غفرها على مذهب أهل السنة في الوعيد [١].

وهذا الأمان الذي يعطى للمستأمن أمان مؤقت بخلاف الأمان الذي يعطى لأهل الذمة فهو أمان مؤبد ما التزموا بشروط العقد، بخلاف أمان المستأمن فهو أمان يلزم تحديده بمدة زمنية معينة، وينعقد الأمان بحق المستأمن بكل لفظ يفيد ذلك المعنى سواء كان صريحاً أو كتابة، كما ينعقد بالكتابة والرسالة والإشارة ونحو ذلك [٢].

وللحربي المستأمن أن يعمل بمقتضاه فيدخل دار الإسلام آمنًا ولا يجوز لأحد التعرض له بسوء، ويجب على كافة المسلمين رعاية هذا الأمان،

---

(١)شرح صحيح البخاري ــ لابن بطال(٥/٣٥١).

(٢)انظر المغني ج٨ ص٣٩٧.

والعمل بموجبه ما دام هذا الأمان قد تم بالشروط المعتبرة شرعًا [١].

أما إذا كان الأمان صادرًا من حاكم خارج على الإسلام، فلا طاعة له ولا أمان لمن أمنهم من الكفرة أمثاله، كما يفعل بعض المتسلطين على رقاب المسلمين. حيث يستخدمون الخبراء والمستشارين والمقاتلين من روسيا وأمريكا وكوبا وغيرها من دول الكفر والضلال لمقاتلة المسلمين في عقر دارهم، فهؤلاء لا عهد لهم ولا أمان لأن من أعطاهم الأمان لا يملك الحق الشرعي في ذلك [٢].

٤٦-من تولى قومًا بغير إذن مواليه:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «من تولى قوما بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل» [٣].

قال النووي: " ومعناه أن ينتمي العتيق إلى ولاء غير معتقه وهذا حرام

(١)المصدر السابق ج٨ ص٣٩٨.

(٢)انظر الهداية شرح بداية المبتدئ – كلاهما تأليف برهان الدين المرغيناني، ج٤ ص٣٠٠. وانظر كشاف القناع عن متن الإقناع/ منصور بن إدريس ج١ ص٦٩٥. وانظر مغني المحتاج/ محمد بن أحمد الشربيني ج٤ ص٢٣٨.

(٣) رواه أبو داود الطيالسي، وأبو يعلى واللفظ له، وهو في الصحيحين وغيرهما باختصار.

لتفويته حق المنعم عليه لأن الولاء كالنسب فيحرم تضييعه كما يحرم تضييع النسب وانتساب الإنسان إلى غير أبيه وأما قوله صلى الله عليه وسلم (من تولى قوما بغير إذن مواليه) فقد احتج به قوم على جواز التولي بإذن مواليه والصحيح الذي عليه الجمهور أنه لا يجوز وإن أذنوا كما لا يجوز الانتساب إلى غير أبيه وإن أذن أبوه فيه وحملوا التقييد في الحديث على الغالب لأن غالب ما يقع هذا بغير إذن الموالي فلا يكون له مفهوم يعمل به [١] "

و"المتولي بغير إذن مواليه رغبة عن مواليه، ومن أنعم الله به عليه كافر للنعمة، جاحد للحق ظالم؛ لأنه وضع الولاء في غير موضعه، وستر نعمة منعمه، ومن كفر نعمة عباد الله، فهو لكفران نعم الله أجدر، وكافر النعمة، ومولي الشكر غير منعمه ظالم، وقد قال عز وجل: ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود: ١٨] فيجوز أن تكون اللعنة ها هنا العذاب، والهوان، والخزي في الكفار، وللمؤمنين دخول النار للتأديب دون اللعنة التي هي الطرد، والإياس من رحمة الله، فإذا كانت الآية في الكفار، فهو الطرد، ولعنة الملائكة إبعادهم إياه عن الدعاء والاستغفار له، وأنهم يتركونه من استغفار الله لهم، فإن الملائكة عليهم السلام يستغفرون لمن

---

(١)المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج،(١٠/١٤٩).

في الأرض، قال الله تعالى: ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]، وحملة العرش يستغفرون للتائبين من المؤمنين إلى قوله: ﴿فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟﴾[غافر: ٧]، فيجوز أن تكون لعنة الملائكة لهؤلاء، وإن كانوا في جملة المسلمين تركهم الاستغفار لهم"[١].

«ومن تولى قوما بغير إذن مواليه»، فإنه لم يجعل إذن مواليه في ذلك شرطا في جواز ادعاء نسب، أو ولاء، ليس هو منه وإليه، وإنما ذكر الإذن في هذا توكيدا للتحريم؛ لأنه إذا استأذنهم في ذلك منعوه، وحالوا بينه وبين ما يفعل من ذلك[٢].

«بغير إذنه» أي: إذن من يريد موالاته، ومعناه أن المسلم إذا استأذنه المولى أن يتولاه يمنعه عن ذلك ويعرفه أنه لا يحل له الخروج عن مواليه[٣].

٤٧-من أحدث أو آوى محدثا بالمدينة:

عن علي - رضي الله عنه - قال: قال النبيّ - ﷺ - عن النبي ﷺ أنه قال: «إن المدينة حرام ما بين عائر إلى ثور من أحدث فيها حدثا أو آوى

---

(١) بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، ص ٢٣٦.

(٢) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري): ٢/٩٢٥.

(٣) التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير: ٤/٣٥٠.

محدثا فعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل»[(١)].

وقوله: «من أحدث حدثا، أو آوى محدثا»: أي أتى إثما، أو آوى من أتاه وحماه وضمه إليه، وهو نحو قوله تعالى في مكة: ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝٢٥﴾ [الحج: ٢٥]

و في محدث " روايتان، فتح الدال وكسرها، فمن فتح نسبة إلى نفس الأحداث، ومن كسر نسبة إلى فاعل الحدث.

والحدث الأمر الحادث المنكر الذي ليس بمعروف في الشرع كما في النهاية أي من أظهره فيها.

قال القاضي: وقوله - ﷺ -: «فعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل اللّه منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا»: وعيد شديد لمن فعل ذلك، ممن استحل حرمتها، أو أحدث فيها. وقد استدلوا لما جاءت به اللعنة أنه من الكبائر[(٢)].

٤٨-منْ ادّعى دعوى الجاهلية:

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي، وأبو يعلى واللفظ له، وهو في الصحيحين وغيرهما باختصار.

(٢) إِكمَالُ الْمُعْلِمِ بفوَائِدِ مُسْلِم: ٤/٤٨٦.

و دعوى الجاهلية أولاً: هي الدعوة بالويل والثبور، كقول: وا ويلاه! وا ثبوراه! أو كونه يضيق ويذكر الشيء الذي افتقده، أو يزعم أنه كان ناصره ورازقه، وكأنه يعبده، وكأنه هو المعطي وما أشبه ذلك، فإن هذا من دعوى الجاهلية.

ويدخل أيضاً في دعوى الجاهلية ثانياً: كون الإنسان يعمل أي عمل من أعمال الجاهلية التي أضيفت إليهم، وذمهم عليها الرسول - ﷺ، وكتاب الله الذي جاء به، مثل التعصب، كونه يتعصب له ويرد الحق الذي يأتي من غيره، أو يناصره على باطل ونحو ذلك مما يفعله بعض الناس من كونه يتعصب لشيخ معين، أو مذهب معين، أو حزب معين، ويرى أن غيره ضال، بدون دليل، وبدون مبرر، فإن هذا من عمل الجاهلية، فيفرق بين المسلمين، ويوغر صدور بعضهم على بعض، فهو من أمر الجاهلية الذي يجب أن يفارق ويترك، وهو معصية؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، فالاعتصام بحبل الله هو دينه أو كتابه أو رسوله، كل ذلك سواء، والاعتصام به أن يعمل بما جاء به، وأن يجتمعوا على ذلك ولا يتفرقوا، فإن حصل التفرق فأسباب التفرق محرمة، والذي يدعو إليها ويفعلها مرتكب كبيرة، وقد تكون كبيرة أعظم مما لو كانت كبيرة تقتصر عليه هو؛ لأن العمل إذا تعدى إلى الغير يكون عظيماً وليس سهلاً، ولهذا جاء أن كل نفس تُقتل فعلى ابن آدم الأول كفل منها؛ لأنه أول من سن

القتل، وقد قال الله جل وعلا فيمن يقتل النفس: ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، وأعظم من القتل كونه يضل عن الهدى وعن الطريق، وترك كتاب الله ومعصية أمره من الضلال.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه - عن النبي ﷺ - قال: «لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخرء بأنفه، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم، وآدم خلق من تراب[(١)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - عن: النبي ﷺ - أنه قال: «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»[(٢)].

وعن أبي ذر رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ -: «إنَّ مَنْ فارقَ الجماعةَ قدرَ شبرٍ فقد خَلعَ ربقةَ الإسلامِ مِن عنقِهِ إلّا أن يراجعَ، ومَنْ ادّعى دعوَى الجاهليةِ فإنَّهُ مِنْ جُثَى جهنَّمَ" فقال رجل: يا رسول الله وإن صلى وصام؟ قال: "وإنْ صلّى وصامَ، فادعُوا بدعوى اللهِ الذي سماكُمْ

(١) أخرجه الترمذي (٥/٧٣٤، رقم ٣٩٥٥) وقال: حسن غريب.

(٢) البخاري "١٢٩٧" ومسلم "١٠٣" واللفظ للبخاري.

المسلمينَ المؤمنينَ عبادَ اللّه»[١].

ودعوى أهل الجاهلية ثالثاً: تناديهم عند الغضب والاستنجاد بقولهم: يا آل فلان يا بني فلان وهي التي عنى بقوله: "دعوها فإنها منتنة" أي مستخبثة قبيحة لأنها تثير التعصب على غير الحق والتقاتل على الباطل ثم إنها تجر إلى النار كما قال: - ﷺ - «من دعا بدعوى الجاهلية فليس منا وليتبوأ مقعده من النار" [٢]، وعن أبي بن كعب -رضي الله عنه- قال: قال رسول اللّه - ﷺ -: «من سمعتموه يدعو بدعوى الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا»[٣].

وقد أبدل اللّه من دعوى الجاهلية دعوى المسلمين فينادى يا للمسلمين كما قال -ﷺ- فادعوا بدعوى اللّه الذي سمّاكم المسلمين وكما نادى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حين طعن: "ياللّه يا لِلمسلمين" فإذا دعا بها المسلم وجبت إجابته والكشف عن أمره على كل من سمعه فإن ظهر أنه مظلوم نصر بكل وجه ممكن شرعي لأنه إنما دعا للمسلمين لينصروه على الحق هان كان ظالمًا كف عن الظلم بالملاطفة والرفق فإن

---

(١) رواه الترمذي (٢٨٦٧).

(٢) رواه أحمد والترمذي.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ١٣٦، في مسند أبي بن كعب رضي اللّه عنه، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، ص ٣٢٤، باب (٤٣٦)، الحديث (٩٦٦)، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى في كتاب السير.

نفع ذلك وإلا أخذ بيده وكف عن ظلمه فإن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم اللّه بعقاب من عنده ثم يدعونه فلا يستجاب لهم ا. هـ[١].

ومن دعوى الجاهلية رابعاً: الدعوة إلى القومية العربية وغيرها من القوميات والعصبيات. .

وقد روى أبو داود في سننه عن جبير بن مطعم -رضي الله عنه- أن رسول اللّه -صلى الله عليه وسلم- قال: «ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل عصبية وليس منا من مات على عصبية ».

وروى أبو داود الطيالسي ومسلم والنسائي عن جندب بن عبد اللّه البجلي -رضي الله عنه- قال: قال رسول اللّه -صلى الله عليه وسلم-: «من قتل تحت راية عمية يدعو عصبية أو ينصر عصبية فقتلة جاهلية».

٤٩-التكذيب بالقدر:

عن أبي أُمامة الباهلي -رضي الله عنه- عن رسول اللّه -صلى الله عليه وسلم- قال: «ثلاثة لا يقبل اللّه منهم صرفا ولا عدلا: عاق، ومنان، ومكذب بالقدر »[٢].

---

[١] الكوكب الوهاج: ٣٥٩/٢٤.

[٢] رواه الطبراني في الكبير (٧٥٤٧) وابن أبي عاصم في السنة رقم (٣٢٣) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٦٥).

والتكذيب بالقدر من الكبائر، وقد عدها الذهبي الكبيرة الحادية والأربعين، و الهيثمي عدّها الكبيرة الثانية والخمسين، وقال " التكذيب بالقدر كما زعمه المعتزلة لعنهم اللّه، فإنهم يزعمون أن العبد يخلق أفعال نفسه من دون اللّه - تبارك وتعالى - فهم ينكرون القدر فسموا قدرية لذلك[١] "

التكذيب بالقدر بأنْ يسند أفعال العباد إلى قدرهم، وينكر كونها بتقدير الله تعالى.

وروى عبد اللّه بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول اللّه - ﷺ - يقول: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الخَلاَئِقِ كُلَّهَا مِنْ قَبْلِ أن يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بخَمْسِينَ أَلْفِ سَنَةٍ قال: وَعَرْشُهُ عَلَى المَاء»[٢]، وقال طاوس اليماني: أدركت ما شاء اللّه من أصحاب رسول اللّه - ﷺ - يقولون: كل شيء بقدر اللّه[٣]، وسمعت عبد اللّه بن عمر يقول: قال رسول اللّه - ﷺ -: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز»[٤]. والعجز: (عدم القدرة على الفعل) والكيس

---

(١)الزواجر عن اقتراف الكبائر،(١/١٦٦).

(٢)مسلم (٢٦٥٣)، والترمذي (٢١٥٦).

(٣)الزواجر عن اقتراف الكبائر(١/١٦٧).

(٤)أخرجه مسلم (٢٦٥٥).

(النشاط والحذق بالأمور) أي قدر الله ذلك في البشر، وعن علي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لا يؤمن بالله عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر»[(١)]. وفي رواية: " خيره وشره ". وهو صريح في مذهب أهل السنة.

وأخرج ابن حبان والحاكم: أنه - ﷺ - قال: «ستة لعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة: المكذب بقدر الله، والزائد في كتاب الله، والمتسلط بالجبروت ليذل من أعزه الله، والمستحل حرمة الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والتارك لسنتي»[(٢)].

والتكذيب بالقدر من الأمور المنفي دخول الجنة بسببها متفاوتة، فالتصديق بالقدر واجب وسبب لدخول الجنة.

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه -قال: قال رسول الله - ﷺ -: «لا

(١)أخرجه الترمذي (٢١٤٥) وابن ماجه (٨١)، وكذلك الحاكم في المستدرك (١/ ٣٢ - ٣٣) وقال صحيح على شرط الشيخين.

(٢)رواه الطبراني في «الكبير» ٣/ ١٢٦ - ١٢٧ (٢٨٨٣)، ورواه الحاكم ١/ ٣٦، وقال: صحيح الإسناد ولا أعرف له علة.

يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر ولا مكذب بالقدر »[١].

٥٠-من أخاف أهل المدينة ظلما:

عن جابر - رضي الله عنه - قال: قال رسول اللّه - ﷺ -: «من أخاف أهل المدينة ظلما أخافه اللّه ، وعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل اللّه منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا »[٢].

"وفيه تحذير من إيذاء أهل المدينة أو بغضهم. قال المجد اللغوي: يتعين محبة أهل المدينة وسكانها وقطانها وجيرانها وتعظيمهم سيما العلماء والشرفاء وخدمة الحجرة النبوية وغيرهم من الخدمة كل على حسب حاله وقرابته وقربه من المصطفي - ﷺ - فإنه قد ثبت لهم حق الجوار وإن عظمت إساءتهم فلا يسلب عنهم"[٣].

وعن السائب بن خلاد - رضي الله عنه - قال: قال رسول اللّه - ﷺ -: «اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفه ، وعليه لعنة اللّه والملائكة

---

[١] رواه الإمام أحمد في مسنده (٦ / ٤٤١) وغيره وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٧٥).

[٢] انظر صحيح الجامع: ٥٩٧٧ ، والصحيحة: ٢٦٧١ وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

[٣] فيض القدير شرح الجامع الصغير(٦/٤٠).

والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا»[١].

وقد جاءت أحاديث أخرى في هذا الباب ومنها:

عن أبي سعيد - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «من أرادها - يعني المدينة - بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء»[٢].

وعن معقل بن يسار - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «المدينة مهاجري وفيها مضجعي ومنها مبعثي، حقيق على أمتي حفظ جيراني ما اجتنبوا الكبائر، ومن حفظهم كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة، ومن لم يحفظهم سقي من طينة الخبال»، قيل لمعقل: وما طينة الخبال؟ قال: عصارة أهل النار»[٣]، رواه أبو عمرو بن السماك، وابن الجوزي في "مثير الغرام الساكن".

وروي الجندي أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -قال: «أيما جبار أراد المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء»[٤].

---

(١)الصحيحة: ٣٥١ ، صحيح الترغيب والترهيب: ١٢١٤.

(٢)أخرجه أحمد في المسند ١ / ١٨٤ - ٢ / ٣٣١.والبخاري ٤ / ١١٢ (١٨٧٧) ومسلم ٢ / ٩٩٣ (٤٦٠ - ١٣٦٣).

(٣)ذكره الهيثمي في المجمع ٣ / ٣١٣ وعزاه للطبراني في الكبير وقال: وفيه عبد السلام بن أبي الحبوب وهو متروك.

(٤)أخرجه الحميدي في المسند (١١٦٧).

وروى البزار بسند حسن عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أنه قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « اللهم اكفهم من دهمهم ببأس - يعني المدينة - ولا يريدها أحد بسوء إلا أذابه الله كما يذوب الملح في الماء »[1].

٥١-سب الصحابة:

عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال أناس من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: يا رسول الله، أنا نُسب، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: « من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا »[2].

والشاهد من الحديث قوله - صلى الله عليه وسلم -«لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» وقد سبق شرح معناها أنه رمز لعدم قبول عمل العبد.

حكم سب الصحابة:

لا خلاف بين العلماء في أنه يحرم سب الصحابة رضوان الله عليهم لقوله - صلى الله عليه وسلم -: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع ٣ / ٣١٠ وعزاه للبزار بإسناد حسن وقال: وفي الصحيح طرف من آخره.

(٢) ابن حنبل في فضائل الصحابة ج١ص٥٣ ح٨، انظر صحيح الجامع: ٦٢٨٥، الصحيحة: ٢٣٤٠.

بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[(١)] ..

فذهب جمهور العلماء إلى أنه فاسق، ومنهم من يكفره، فإن وقع السب من أحد من الناس فللفقهاء فيه مذهبان:

الأول: وعليه أكثر العلماء أن يكون فاسقا، قال به الحنفية، وهو قول المالكية إن شتمهم بما يشتم به الناس، وهو المعتمد عند الشافعية، وهو قول الحنابلة إن لم يكن مستحلا، نقل عبد اللّه عن أحمد أنه سُئل فيمن شتم صحابيا القتل؟ فقال: أجبن عنه، ويضرب. ما أراه على الإسلام.

الثاني: وهو قول ضعيف للحنفية، نقله البزازي عن الخلاصة: إن كان السب للشيخين يكفر، قال ابن عابدين: إنه مخالف لما في المتون، وهو قول المالكية إن قال فيهم: كانوا على ضلال وكفر، وقصر سحنون الكفر على من سب الأربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا، وهو مقابل المعتمد عند الشافعية، ضعفه القاضي وهو قول للحنابلة إن كان مستحلا، وقيل: وإن لم يستحل[(٢)].

---

(١)حديث : " لا تسبوا أصحابي . . . " أخرجه البخاري (الفتح ٧ / ٢١ – ط السلفية) ومسلم (٤ / ١٩٦٨ – ط الحلبي) من حديث أبي سعيد الخدري ، واللفظ للبخاري).

(٢)الموسوعة الفقهية الكويتية عن ابن عابدين ٤ / ٢٣٧ ، تبصرة الحكام لابن فرحون ٢ / ٢٨٦ ، معالم السنين ٤ / ٣٠٨ ، الجمل على المنهج ٥ / ١٢٢ ، القليوبي ٤ / ١٧٥ ، إعانة الطالبين ٤ / ٢٩٢ ، نهاية المحتاج ٧ / ٤١٦ ، الإنصاف ١٠ / ٣٢٤ ، شرح منتهى الإرادات ٣ / ٢٦٠ ، الفتاوى البزازية ٦ / ٣١٩

٥٢-أكل الربا

من محبطات الأعمال الأخرى: التعامل بالربا، فقد روى أبو إِسْحَاق عَنْ جَدَّته الْعَالِيَة قالت: دخلت على عائشة في نسوة فقالت: ما حاجتكن؟ فكان أول من سألها أُمّ مَحَبَّة، فقالت: يا أم المؤمنين هل تعرفين زيد بن أرقم؟ قالت: نعم، قالت: فإني بعته جارية لي بثمانمئة درهم إلى العطاء، وأنه أراد أن يبيعها فابتعتها بستمئة درهم نقدا، فأقبلت عليها وهي غَضْبَى، فقالت: أبلغي زيدا أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله - ﷺ - إلا أن يتوب، وَأَفْحَمَتْ صاحبتنا فلم تتكلم طويلا، ثم إنه سُهِّلَ عنها، فقالت: يا أم المؤمنين أرأيت إن لم آخذ إلا رأس مالي؟ فقالت: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]. فالربا من مبطلات الأعمال ومن الكبائر، هكذا فهمت أمنا عائشة - رضي الله عنها -.

وفي القرآن العظيم آيات رهيبة فيها تبيان للخطر العظيم، وعقوبة المرابي في الدنيا والآخرة، يقول الله عز وجل في سورة البقرة: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا

سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥]، ما معنى قول الله عز وجل: لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ؟ .

قال المفسرون، وعلى رأسهم ابن كثير - رَحِمَهُ اللَّهُ -: أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه، وتخبِّط الشيطان له، وذلك أنه يقوم قياماً منكراً، قال ابن عباس: آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً يخنق، هذا شعار لهم يُعرفون به يوم القيامة من دون سائر الخلق، تُعرف هذه الطبقة التي تأكل الربا أنهم يقومون من قبورهم يتخبطون كالمصروع الذي صرعه الشيطان ومسه، ثم يكون العذاب من وراء ذلك.

الناس يوم القيامة يخرجون من الأجداث سراعاً، يخرجون من القبور مسرعين، وآكل الربا يحاول أن يسرع في خروجه ومشيه، ولكن الربا الذي أثقل بطنه وزاد فيها، وجعله أعظم من المرأة الحبلى يريد الإسراع فيسقط، فيصير مثل المتخبط من الجنون: ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾، ثم قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨]،

فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ، وتمتثلوا لأمر اللّه -عز وجل - فماذا سيحدث؟ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ، هل هي حرب قتل وتدمير؟ هل هي حرب تجويع؟ هل هي حرب كوارث وزلازل؟ هل هي حرب أمراض وأوبئة؟ لم يذكر اللّه -عز وجل - نوع الحرب، فإذن هي عامة تشمل جميع أنواع الحرب التي يحارب اللّه بها العصاة، وأهل الربا، فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ،

وهذه الآية هي التي استدل بها الإمام مالك - رَحِمَهُ اللهُ - على أنها أعظم جريمة يعاقب بها الإنسان على ما يدخل بطنه، فإن الذي يدخل البطن من المحرمات أمور كثيرة، فمنها الخمر، ومنها الميسر، ومنها الرشوة، ومنها المقامرة، ومنها الربا.

ولقد جاءت عدة أحاديث تُحذِّرُ من الربا وتبين عواقبه قال - ﷺ - محذراً البلاد بالخراب إذا عم فيها الربا، يقول - ﷺ -: «إذا ظهر الزنا والربا في قرية، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب اللّه»، والقرية تشمل البلدة كبيرة أم صغيرة، وقال - ﷺ - في الحديث الصحيح الآخر: «ما ظهر في القوم الربا والزنا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب اللّه»[(١)]، عقاب متنوع يأتي من كل جهة، يدع الحليم حيراناً، وكل من يتعامل بالربا فهو ملعون، قال - ﷺ -: «لعن اللّه الربا، وآكله، وموكله، وكاتبه، وشاهده،

---

(١)رواه أحمد

وهم يعلمون»[١] وقال: «هم سواء» [٢] كلهم فيه سواء، (وهم يعلمون)، إذا علموا ذلك، وقال عليه الصلاة والسلام حديثا يرد على شبهة، بعض الناس الذين يظنون أن الملعون هو الذي يأخذ الربا، لكن الذي يعطي الربا مسكين لأنه مضطر، قال: «الآخذ والمعطي فيه سواء»[٣].

والربا أعظم عند اللّه من الزنا، بينما الناس يظنون أنه العكس، قال - ﷺ - «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند اللّه من ست وثلاثين زنية»، وقال - ﷺ - «الربا ثلاثة وسبعون باباً؛ أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه»، ولقد ذكر النبي - ﷺ - أمر الربا في حجة الوداع أمام عشرات الآلاف من أصحابه كي ينقلوا هذا التحذير للأمة من بعده، حيث قال: «ألا وإن كل رباً في الجاهلية موضوع، لكم رؤوس أموالكم لا تَظلمون ولا تُظلَمون، غير ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله»[٤].

---

(١)رواه الطبراني

(٢) رواه مسلم

(٣)رواه مسلم

(٤)أخرجه مسلم في : الحج، باب : حجة النبي (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنهما.

فينبغي أن يكون موقف المسلم تجاه الربا موقف الممانعة والتحذير لنفسه ولغيره من التورط في مثل الإثم العظيم.

٥٣-فساد الصلاة:

عن أنس - رضي الله عنه -أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة فإن صلحت صلح له سائر عمله و إن فسدت فسد سائر عمله»(١).

أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاةُ أي المفروضة وهي الخمس لأنها أول ما فرض عليه بعد الإيمان وهي علم الإيمان وراية الإسلام (فإن صلحت) بأن كان قد صلاها متوفرة الشروط والأركان وشملها القبول (صلح له سائر عمله) يعني سومح له في جميع أعماله ولم يضايق في شيء منها في جنب ما واظب من إدامة الصلاة التي هي علم الدين (وإن فسدت) أن لم تكن كذلك (فسد سائر عمله) أي ضويق فيه واستقصى فحكم بفساده وأخذ منه الأئمة أن حكمة مشروعية الرواتب قبل الفرائض وبعدها تكميلها بها إن عرض نقص قال الطيبي: الصلاح كون الشيء على حالة استقامته وكماله والفساد ضد ذلك وذلك لأن الصلاة بمنزلة القلب من الإنسان فإذا صلحت صلحت الأعمال كلها وإذا فسدت فسدت

---

(١)أخرجه الطبراني في الأوسط (٢/٢٤٠-١٨٥٩) والمقدسي في المختارة (١٤٥/٧)، وقال الهيثمي في المجمع (٢٩٢/١): "فيه القاسم بن عثمان، قال البخاري: له أحاديث لا يتابع عليها، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: ربما أخطأ"، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٥٨) بمجموع طرقه.

أول ما يحاسب عليه العبد من الحقوق التي عليه لله جلَّ وعلا؛ هو: الصَّلاة.

ويدل على ذلك: ما روى أبو داود (٨٦٤)، والترمذي (٤١٣)، والنسائي (٤٦٥) من حديث أبي هريرة -ﷺ- قال: "سمعت رسولَ الله -ﷺ- يقولُ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ: صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ - عَزَّ وَجَلَّ -: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ؟ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ».

وأما أول ما يقضى فيه من الحقوق التي بين الناس؛ هو: الدماء».

ويدل على ذلك: حديث ابن مسعود -ﷺ- قال النَّبي -ﷺ- «أَوَّلُ مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ»[1].

وذلك لأنَّ الصلاة عمود الدين، وهي أفضل العبادات البدنية، والدماء هي أعظم ما يعتدى به في حقوق الآدميين.

قال القارئ فِي " مرقاة المفاتيح " (٩٩٧/٩) في شرح الحديث:

(وإن فسدت): بأن لم تؤد أو أديت غير صحيحة، أو غير مقبولة، (فقد خاب): بحرمان المثوبة (وخسر): بوقوع العقوبة، وقيل: معنى خاب ندم وخسر، أي صار محروما من الفوز والخلاص قبل العذاب. (فإن انتقص):

(١)[رواه البخاري رقم (٦٨٦١) الديات فما فاتحته، ومسلم رقم (١٦٧٨) في القسامة، والترمذي رقم (١٣٩٦) في الديات].

بمعنى نقص اللازم (من فريضته شيء) أَيْ: مِنَ الْفَرَائِضِ.

٥٤- الكلام فيما لا يعني:

في جامع الترمذي أيضًا من حديث أنس -رضي الله عنه- قال: توفى رجل من الصحابة فقال رجل أبشر بالجنة فقال رسول اللّه -صلى الله عليه وسلم-: «أو لا تدري لعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه»[١].

قوله: "أَبْشِرْ بالجَنَّة"؛ يعني: افرح بحصولِ الجَنَّةِ لك بأن صَحِبْتَ النبيَّ -صلى الله عليه وسلم-

"أوْلا تدري"، بسكون الواو؛ يعني: أتدري أنه من أهلِ الجَنَّةِ؟ أو لا تدري بأيِّ شيءٍ علمتُ أنه من أهل الجنة؟

"فلعلَّه تكلَّمَ فيما لا يعنيه"؛ أي: تكلَّمَ بكلامٍ يضرُّه في الآخرة.

"أو بَخِلَ بما لا يَنْقُصُه"؛ أي: بالتكلُّم في الخير، فإنه لا ينقصُ من لسانه شيءٌ بأن يُعَلِّمَ الناسَ ما يحتاجون إليه، ويُرْشِدَهم وينصحَهم، ويتلطَّفَ بهم باللسان، ويعينَهم بيديه، ويمشيَ برجليه في حاجةٍ لهم[٢].

(فَلَعَلَّهُ تَكَلَّمَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ) أَيْ مَا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي ضرورة دينه.

قال الغزالي: وما لا يعنيك من الكلام أن تتكلم بكل ما لو سكت عنه لم تأثم ولم تتضرر في حال ولا مآل.

---

(١)قال حديث حسن.

(٢)المفاتيح في شرح المصابيح(٥/١٨٣).

وفى لفظ أن غلامًا استشهد يوم أحد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت أمه التراب عن وجهه وقالت: هنيئًا لك يا بني الجنة، فقال رسول اللّه -ﷺ-: «وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع مالا يضره».

وفي الصحيحين من حديث أبى هريرة -رضي الله عنه- يرفعه: «من كان يؤمن باللّه واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»"[1].

٥٥-قول أو عمل الزور:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال قال رسول اللّه -ﷺ-: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس للّه حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»[2].

في هذا الحديث من الفقه: أن الصائم مأمور بتنزيه صومه عن أن يجرحه بشيء من فلتات لسانه، حتى إن شهادة تبلغ في إفساد الصوم إلى أن يقول رسول اللّه -ﷺ- «فليس للّه حاجة»: فإنه كلام يشير إلى

---

(١)رواه البخاري رقم (٦١٣٨) في الأدب ، باب إكرام الضيف وخدمته إياه بنفسه ، ومسلم رقم (٤٨) في الإيمان.

(٢)رواه البخاري (١٦/٤) في الصوم : باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصـــوم وفي الأدب باب قول الله تعالى: واجتنبوا قول الزور ورواه أبو داود (٤٨٨/٦) في الصوم ك باب الغيبة والترمذي (٢٢٦/٣) باب ما جاء في التشديد في الغيبة للصائم.

مغاضبة عليه مع العلم بأن اللّه عز وجل لا حاجة به إلى صيام صائم، وإنما ذكر رسول اللّه - ﷺ - هذا إعلاماً لمن فعله أن اللّه سبحانه قد بلغ غضبه على شاهد الزور إلى ألا يراه معدودًا في الصائمين[١].

وفي الحديث إشارة واضحة أن قول الزور وفعل الحرام يحبط صيام الصائم.

٥٦-الكلام والإمام يخطب الجمعة و مسى الحصى وما يشبهه:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول اللّه - ﷺ - : «من مس الحصى فقد لغا» (٢) وزاد بعضهم: «ومن لغا فلا جمعة له» [٣].

« ومن مس الحصى» المراد بمس الحصى العبث به والاشتغال بذلك عن سماع الخطبة، وكانت المساجد تفرش بالحصى، ومثله التلهي بنقش البسط والحصر التي تفرش بها المساجد الآن، وكذا كل شيء يلهى عن الاستماع، وفيه إشارة إلى إقبال القلب والجوارح على الخطبة، "وذكر الهروي في قوله - ﷺ - : « ومن مس الحصى فقد لغا " معناه: تكلم،

---

(١)الإفصاح عن معاني الصحاح(٧/٣٢٠).

(٢)أخرجه البخاري (١٢٢٤) ، ومسلم (٥٨٣/٢) ، كتاب الجمعة ، حديث رقم (٨٥١).

(٣)أخرجه أبو داود (٢٧٦/١ ، ٢٧٧) رقم (١٠٥١) عن علي رضي الله عنه.

وقيل: لغا عن الصواب، أي مال عنه. وقال النضر: أي خاب، ألغيته: خيبته، قال ابن عرفة: اللغو: الشيء السقط الملغى.

قال القاضي: وقيل: اللغو واللغا: ما لا ينبغي من الكلام، ورديئه وباطله، وما لا خير فيه. وفى الحديث حجة على وجوب الإنصات لسماع الخطبة، وهو قول مالك وأبى حنيفة والشافعي وعامة العلماء"(١)

وقوله: «فلا جمعة له» يعنى أنه حُرم من الثواب المترتب على صلاة الجمعة وكأنه صلاها ظهراً فضلاً عما يلحقه من الإثم سبب اللغو، وهذا دليل واضح أن مس الحصا، أو الكلام والإمام يخطب يحبط أجر الجمعة.

٥٧-المرأة المتطيبة الذاهبة للمسجد:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : «لا تقبل صلاة لامرأة تتطيب لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة»(٢).

والمعنى أن الله تعالى لا يقبل من امرأة تطيبت لأجل المسجد صلاة ما دامت رائحة ذلك الطيب عالقة بها، فاذا كان هذا عقاب من تطيبت لأجل المسجد والصلاة، فما بالك بعقاب من تطيبت للخروج في الأسواق

(١)إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم(٣/٢٤٢).

(٢)أحمد ٢/ ٢٤٦، أبو داود، ك الترجل، ب ما جاء في المرأة تتطيب للخروج (٤١٧٤) وصحَّحه الألباني ٧٣٨٥ في صحيح الجامع].

والمتزهات ولم تركع لله ركعة من الصلوات المفروضات نسأل الله السلامة.

وعن أبي هريرة، -رضي الله عنه-، أنه لقي امرأة، تعصف ريحها، فَقَالَ: يا أمة الجبار، تريدين المسجد؟ قالت: نعم، قَالَ: وله تطيبت، قالت: نعم، قَالَ: فارجعي، فإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، يقول: «ما مِنْ امرأة تخرج إلى المسجد، فتعصف ريحها، فيقبل الله منها صلاة، حَتَّى ترجع فتغتسل»(١).

وفي الحديثين رسالة أن تطيّب المرأة للمسجد محبط لصلاتها، حتى ترجع وتغتسل.

٥٨-الدين:

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - يرفعه: «من مات وعليه دينار أو درهم قضي من حسناته ليس ثم دينار ولا درهم من ترك دينارًا أو ضياعًا فعلى الله ورسوله» (٢).

و"المراد بالحسنات الثواب عليها وبالسيئات العقاب عليها وقد استشكل إعطاء الثواب وهو لا يتناهى في مقابلة العقاب وهو متناه وأجيب بأنه محمول على أن الذي يُعطاه صاحب الحق من أصل الثواب

---

(١)أبو داود (١/ ١٥٥ رقم ٥٦٥).

(٢)ابن ماجه (٢٤١٤). وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٦٥٤٦).

ما يوازي العقوبة عن السيئة وأما ما زاد على ذلك بفضل اللّه فإنه يبقى لصاحبه"[١].

وفي الحديث إشارة أن الدين يضيع على العبد حسناته، وهي رسالة بالحرص على قضاء الدين، وتقييده في الوصية باستمرار.

٥٩-سوء الخلق:

عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال رسول اللّه -ﷺ-: «إن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»[٢].

لأنه يغير طعمه من الحلوة الصرفة المحبوبة إلى خلافها ويغير أيضاً لونه، وفيه أن الخلق السوء في عالم المثال حامض والعمل الصالح حلو، وفي الحديث إشارة أن الرجل إنما يحوز جميع الخيرات ويبلغ أقصى الغايات بحُسن الخلق، وأن سوء الخلق محبط للأعمال الصالحة.

٦٠- الانتحار:

عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: شهدنا خيبر فقال رسول اللّه -ﷺ- لرجل ممن معه يدعي الإسلام: «هذا من أهل النار» فلما حضر القتال، قاتل الرجل أشد القتال، حتى كثرت به الجراحة، فكاد بعض الناس يرتاب، فوجد الرجل ألم الجراحة، فأهوى بيده إلى كنانته، فاستخرج

---

(١)فتح الباري – ابن حجر(٣٩٧/١١).

(٢)ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، وحسنه الألباني حديث رقم: ١٧٦ في صحيح الجامع.

منها أسهمًا فنحر بها نفسه، فاشتد رجال من المسلمين فقالوا: يا رسول الله صدق الله حديثك، انتحر فلان فقتل نفسه، فقال: «قم يا فلان فأذن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر»(١).

لذلك من عقيدة الصحابة رضوان الله عليهم بأن المنتحر يحبط عمله، وقد جاء ذلك مصرحًا منهم، حيث روى سلمة -رضي الله عنه- قال: خرجنا مع النبي -ﷺ- إلى خيبر فقال رجل منهم: أسمعنا يا عامر، فقال: -رحمه الله-، فقالوا: يا رسول الله، هلا أمتعتنا به، فأصيب صبيحة ليلته، فقال القوم: حبط عمله، قتل نفسه، فلما رجعت وهم يتحدثون أن عامرًا حبط عمله، فجئت إلى النبي -ﷺ- فقلت: يا نبي الله فداك أبي وأمي، زعموا أن عامرًا حبط عمله، فقال: «كذب من قالها إن له لأجرين اثنين، إنه لجاهد مجاهد، قلَّ عربيٌّ مشى بها مثلَه»(٢).

٦١-السخرية بالدين وأهله:

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ .... ﴾ [التوبة: ٦٦]

---

(١)أخرجه البخاري في المغازي (٤٢٠٣) (٤٢٠٤)، وفي القدر (٦٦٠٦)، ومسلم (١١١).

(٢)البخاري ٧/ ٤٦٣ (٤١٩٦)، ومسلم ٣/ ١٤٢٧ (١٨٠٢). .

روى عبد اللّه بن وهب بسنده عن عبد اللّه بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل في المسجد: كذبت ولكنك منافق، لأخبرن رسول اللّه -ﷺ-، فبلغ ذلك رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ونزل القرآن فقال عبد اللّه ابن عمر وأنا رأيته متعلقا بحقب ناقة رسول اللّه -ﷺ- تنكبه الحجارة وهو يقول: يا رسول اللّه: إنما كنا نخوض ونلعب ورسول اللّه -ﷺ- يقول: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة:٦٥][1].

جاء بعدها قول اللّه تعالى: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة:٦٦]

وأخرج ابن جرير الطبري وابن المنذر وأبو الشيخ ابن حيان الأنصاري عن قتادة أن ناسا من المنافقين قالوا: في غزوة تبوك: يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام وحصونها، هيهات له ذلك، فأطلع اللّه نبيه على ذلك، فأتاهم فقال: قلتم كذا وكذا، قالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، فنزلت[2].

---

(١)ابن جرير (١٠/ ١١٩)، ابن أبي حاتم (٤/ ٦٤)، ابن كثير (٢/ ٣٦٨) واللفظ له وقال محرج فتح المجيد: حسن (٣٨٥).

(٢) تفسير الطبري(١٤/٣٣٤)، وانظر: "تفسير ابن أبي حاتم" ٦/ ١٨٢٩ - ١٨٣٠.

فالاستهزاء بالدين وأهله محبط للعمل، بل قد ينقل صاحبه من الإيمان إلى الكفر، كما في الآية والعياذ بالله.



ختاماً:

بعد هذا التطواف مع الأعمال التي تكون سببا في حبوط الأعمال الصالحة، ولا أجزم بإحصائها جميعاً؛ لكني حاولت بعد عون اللّٰه أن يكون هذا البحث دافعاً للمسلم أن يحافظ على أعماله الصالحة وحسناته كما يحافظ على أهله وماله، وإن كان من صواب فمن اللّٰه وتوفيقه، وإن كان من خطأ أو نسيان فمن نفسي والشيطان، أسأل اللّٰه أن ينفع بهذا البحث ويجعله صالحا، ولوجهه خالصاً، وجزى اللّٰه من أهدى إلينا عيوبنا.

سيبقى الخط بعدي في الكتاب   وتبلى اليد مني في التراب
فيا ليت الذي يقرأ كتابي   دعا لي بالخلاص من الحساب

وصلى اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أمير بن محمد المدري
اليمن – المهرة

٢٠١٩/١٢/٤م

Almadari_1@hotmail. com

واتس/ ٠٠٩٦٧٧١١٤٢٣٢٣٩



أهم المراجع

١. الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار، النووي، تحقيق: محيي الدين مستو، دار ابن كثير، مكتبة التراث، ط ١، ١٤٠٧ هـ.

٢. الآحاد والمثاني، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١م.

٣. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، د -ت.

٤. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٥. الأساس في التفسير، سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، دار السلام - القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ.

٦. الإفصاح عن معاني الصحاح، يحيى بن (هُبَيْرَة بن) الشيبانيّ، أبو المظفر، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، ١٤١٧هـ.

٧. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ بن أحمد الحكيمي، تحقيق حازم القاضي، ط: الثانية، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ.

٨. إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، شَرْحُ صَحيح مُسْلِمِ لِلقَاضِي عِيَاض المُسَمَّى، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ - ١٩٩٨ م.

٩. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٣هـ.

١٠. بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار، أبو بكر محمد بن أبي إسحاق الكلاباذي، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل - أحمد فيد المزيدير، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١١. البدر المنير في تخريج الأحاديث والأثار الواقعة في الشرح الكبير، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، دار الهجرة للنشر والتوزيع -

الرياض -السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.

١٢. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

١٣. التَّحبير لإيضَاح مَعَاني التَّيسير، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه وضبط نصه: محَمَّد صُبْحي بن حَسَن حَلّاق أبو مصعب، مَكتَبَةُ الرُّشد، الرياض - المملكة الْعَرَبيَّة السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

١٤. تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط ٣، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.

١٥. التعريفات، الجرجاني، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣ هـ.

١٦. تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤ م.

١٧. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير تقديم: يوسف المرعشلي، بيروت، دار المعرفة، ط ٢، ١٤٠٧ هـ.

١٨. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ.

١٩. تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث - بيروت، ط١ - ١٤٢٣ هـ.

٢٠. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى.

٢١. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي ثم المناوي القاهري، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت -القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.

٢٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٢٣. التيسير بشرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، الطبعة:

الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٤. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف الحدادي ثم المناوي، عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت -القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ -١٩٩٠م.

٢٥. جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، القاهرة، دار الحديث ١٤٠٧ هـ ١٢ مج وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري.

٢٦. جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة، د. ت، القاهرة مؤسسة الكتب الثقافية د. ت.

٢٧. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧ م.

٢٨. الجامع لشعب الإيمان، البيهقي، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، الهند، بومباي، الدار السلفية، ٨ مج، ط ١، ١٤٠٧ هـ.

٢٩. الخصائص الكبرى، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٥هـ.

٣٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد اللّه الأصبهاني، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٥ هـ.

٣١. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن محمد بن

علان بن إبراهيم البكري، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

٣٢. رسالة التوحيد المسمى بـ تقوية الإيمان، إسماعيل بن عبد الغني بن وَلي الله بن عبد الرحيم العُمري الدهلوي (المتوفى: ١٢٤٦هـ)، نقلها للعربية وقدم لها: أبو الحسن علي الحسني الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، اعتنى بها: سيد عبد الماجد الغوري، دار وحي القلم - دمشق، سورية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.

٣٣. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، بيروت، المكتب الإسلامي، ط ٤، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م.

٣٤. الزواجر عن اقتراف الكبائر، أبو العباس أحمد بن محمد الهيثمي: ابن حجر الهيثمي، ضبط: أحمد الشامي، ط ٢. ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٣ م.

٣٥. سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث، ١٣٩٥ هـ، وطبعة دار الفكر، د. ت.

٣٦. سنن أبي داود، السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الفكر، د. ت. القاهرة، دار الريان، ١٩٨٩ م.

٣٧. سنن النسائي، النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، بيروت، دار

الفكر، والقاهرة، دار الحديث، ١٩٨٧ م.

٣٨. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي، دار الحديث - القاهرة، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م

٣٩. شرح (مسائل الجاهلية لمحمد بن عبد الوهاب)، صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، دار العاصمة للنشر والتوزيع الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٥م.

٤٠. شرح صحيح البخاري ـ لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال القرطبي، مكتبة الرشد - السعودية / الرياض، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ، الطبعة: الثانية، - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٤١. الصارم المسلول على شاتم الرسول، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.

٤٢. صحيح ابن حبان، أبو حاتم البستي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المدينة المنورة، ١٩٧٠ م.

٤٣. صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد الأعظمي ط ١، المكتب الإسلامي ببيروت، ١٤٠٠ هـ.

٤٤. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى البغا، دمشق، دار ابن كثير، ١٤٠٧ هـ.

٤٥. صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٤٦. صحيح الجامع الصغير وضعيفه، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٨

٤٧. صحيح سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٢ هـ.

٤٨. صحيح مسلم بشرح النووي، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧ هـ، وبيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٤٩ هـ.

٤٩. الصلاة وأحكام تاركها، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة.

٥٠. عمدة القارئ، شرح صحيح البخاري، بدر الدين العيني، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ.

٥١. الفتاوى، ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، د. ت.

٥٢. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق:

محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧ هـ.

٥٣. فتح الباري ـ لابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن البغدادي الشهير بابن رجب، دار ابن الجوزي - السعودية / الدمام - ١٤٢٢هـ، الطبعة: الثانية، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد.

٥٤. فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين، زين الدين أحمد بن عبد العزيز المعبري، دار بن حزم، الطبعة: الأولى.

٥٥. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٩٦٤ م/ بيروت، دار الفكر، ١٩٨٣ م.

٥٦. فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الأستاذ الدكتور موسى شاهين لاشين، دار الشروق، الطبعة: الأولى (لدار الشروق)، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

٥٧. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين عبد الرؤوف المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

٥٨. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم، دار الشروق ـ القاهرة.

٥٩. قبول الأخبار ومعرفة الرجال، عبد الله بن أحمد بن محمود

الكعبي، المحقق: أبو عمرو الحسيني بن عمر بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

٦٠. القول السديد في مقاصد التوحيد، محمد بن عبد الوهاب، المدينة المنورة، منشورات الجامعة الإسلامية، ١٤٠٤ هـ.

٦١. قاعدة في المحبة، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، المحقق: محمد رشاد سالم، الناشر: مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر.

٦٢. الكبائر، الذهبي، مؤسسة الريان للتوزيع والنشر، لبنان، ط ٢، ١٤١٧ هـ.

٦٣. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي ابن القاضي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.

٦٤. الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، أبو سليمان عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، الناشر عبد العزيز ومحمد العبد الله الجميح، الطبعة: الرابعة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٦٥. الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم، جمع وتأليف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمي العَلَوي الهَرَري الشافعي، مراجعة: لجنة من العلماء

برئاسة البرفسور هاشم محمد علي مهدي، دار المنهاج - دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٦٦. لسان العرب، ابن منظور، أعاد ترتيبه: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد، وهاشم الشاذلي، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١ م، بيروت، دار صادر، د. ت.

٦٧. مبطلات الأعمال، توفيق علي، مقال منشور.

٦٨. مبطلات الأعمال في ضوء الكتاب والسنة، أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي، دار ابن القيم للنشر والتوزيع، ٢٠٠١، ١٤٢١ هـ.

٦٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، بتحرير العراقي وابن حجر، القاهرة، دار الريان ١٤٠٧ هـ.

٧٠. محبطات العمل الصالح وآثارها كما يصورها القران الكريم، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية -غزة، رضا نصر الله جندي القدرة، ٢٠٠٣م.

٧١. محبطات الأعمال، محمد إبراهيم النعيم،

٧٢. مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ط ٢. ، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ.

٧٣. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٧٤. المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، الهند، حيدرآباد الدكن، / بيروت، دار المعرفة، د. ت.

٧٥. مسند أبي يعلى، أبو يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، ط. ثانية، دمشق، ١٤١٠ هـ.

٧٦. مسند الإمام أحمد بن حنبل، رق م أحاديثه: محمد عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣ م.

٧٧. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، المكتبة العلمية - بيروت.

٧٨. المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٣ م.

٧٩. معالم التنزيل، الإمام البغوي، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة، ط. ثانية، بيروت.

٨٠. المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، القاهرة، وزارة الأوقاف، د. ت، مكتبة ابن تيمية، بدون تاريخ أيضا.

٨١. معجم مقاييس اللغة، لأحمد ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٦٩ م.

٨٢. المفاتيح في شرح المصابيح، الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّريرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمُظْهِري (المتوفى: ٧٢٧ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين

بإشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية - وزارة الأوقاف الكويتية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.

٨٣. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، ط ١، ١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢ م.

٨٤. مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل أو مختصر رعاية المحاسبي، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، المحقق: إياد خالد الطباع، دار الفكر - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٨٥. منهاج المسلم، أبو بكر جابر الجزائري، دار السلام للطباعة والنشر، د. ت.

٨٦. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

٨٧. الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، الطبعة: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ)

٨٨. نزهة الفضلاء، سير أعلام النبلاء، للذهبي، تأليف: محمد حسن عقيل موسى، المملكة العربية السعودية، جدة، ١٩٩١ م.

٨٩. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه

وسلم، عدد من المختصين بإشراف صالح بن عبد اللّه بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة.

٩٠. النكت والعيون، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢ م.

٩١. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٣ هـ.

٩٢. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، الشوكاني، بيروت، دار الجيل، د. ت.

